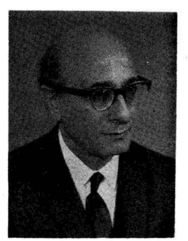


محمد اديب العامري

الذكرى المئوية لمولد المهاتما غاندي

بقلم محمد اديب العامري

* * *

اخذت الهند (*) منذ تشرين الاول الماضي ، تحتفل بذكرى مرور مئة عام على مولد زعيمها الخالد المهاتما غـاندي . وستمتد فترة الاحتفال عاما كاملا . ويشارك العالم كله جمهورية الهند العظيمة هذا التكريم ، لزعيم له الفضل الاول في تحرير الهند واستقلالها .

ويشارك الاردن كذلك الهند الصديقة الاحتفال بهذه الذكرى مدة اسبوع كامل . ويشرفني أن افتتح هـذا الاسبوع في المملكة الاردنية الهاشمية التي تحمل للهند أعظم آيات التأييد والتقدير .

لقد عرف غاندي في نشأته الاولـى بالاحساس المرهف والانفعال العميق لما تقع عليه عينه ، او تسمع بـه اذنه من احوال مواطنيه . فما كاد يتم دراسة القانون في بريطانيا ويعمل في جنوب افريقيا حتى اعترضته قضيـة الهنود الذين هضمت حكومة البيض حقوقهم وحرمتهم المساواة في الحقوق لانهم ملونون . وشـكا الهنـود المضطهدون هناك امرهم ، فوجدوا في غاندي الرجـل الذي يستمع الى شكاءتهم ويلبي نداءهم . وشاء القـدر ان يهيء السبب الذي يزيد من حماسته للمهمة السامية التي كانت تنتظره . فقد حدث ان دفعه البيض من مكان الدرجة الاولى في قطار كان يستقله ، وان رفض حـلاق ابيض ان يقص له شعره . ورأى امثلة كثيرة من هذه في جنوب افريقيا فارسل كلمة من كلماته الاولى فقال : « لقد عرفت الهند في ديار الغربة » .

وهناك ايضا ، أي في جنوب افريقيا رفع قضية في المحكمة تتعلق بمساواة الملونين بغيرهم ، فكسب القضية وعاد الى الهند ، فوجد البلاد تنتظره متلهفـة لتعترف بجميله . ورأى ان الهند ما هي الا اصطلاح جغرافي ليس للشعب الهندي فيها حقوق . وقد رد بدوره سبب هذا الى الاستعمار البريطاني ، فاسـتهدف مقاومة هـذا الاستعمار . وهنا بدأ ينفذ ما دار في ذهنه . فاتخذ لذلك طريقين ــ التقشف واللاعنف . لقد تجرد من زخـرف الدنيا ومظاهر الترف ، فتخفف من اللباس ومشى عاري الراس حافي القدمين ، بسيط الطعام والشراب . حليـب معزاة كان يصطحبها في غداوته وروحاته . والجديد في الامر ان غاندي لم يفكر في اللجوء الى القـوة والعنف ، بل عمد الى اسلوب معلم الهند الاول (بوذا) الذي سبقه بـ ٢٥ قرنا . بدأ غاندي من حيث انتهى بـوذا فحـارب التقاليد التي فرضت على ٧٥ مليونا من ابنائها المسمـين بالمنبوذين العزلة في الحياة ، والشعور بالحقارة والانطواء على الذلة . اطرح غاندي التقاليد التي قالت بنجاسـة المنبوذين ، فعاملهم على قدم المساواة وقرب عددا منهم اليه واقنع مريديه بالاقتداء به ، وكثمرة لهذا الجهاد نص دستور الهند سنة ١٩٥٠ على عدم التفريق بين المواطنين ، مهما كانت الاصول والاعراق والطبقات . وعرف غاندي مع هذا كله كيف مزقت الطائفة الدينية الهند فجعلتها امما متعادية ، فنادى باحترام الاديان كلها . وكان من ثمرات هذا المبدا اسناد رئاسة جمهورية الهند الى الدكتور ذاكر حسين الذي يمثل المسلمين ، وهم في الهند اقلية .

ثم راى غاندي القاعدة الاقتصادية للاستعمار فـي الهند ، فاعلن عن برنامج لتشجيع الانتـاج الهنـدي ، والاستغناء عن استيراد المواد من الخارج . بـدا بمـادة بسيطة وهي « الملح » ، فدعا الهنود الى الامتناع عن شرائه من الشركة البريطانية التي كانت تحتكـره . واعتـبر المستعمر هذه الدعوة عصيانا ، فسجنه ، فلجأ الى سلاح خاص به . ولكنه ويا للعجب جاء سـلاحا بتارا حـير الانجليز . فقد اعلن الصوم واستمر فيه حتى اشرف على الموت . فضجت الهند ، على الرغم من عمل الاستعمار في ترويضها اكثر من قرنين . فاضطر الحاكمون الى اطـلاق سراحه . وما كاد غاندي يغادر السجن حتى اخذ يعلم اهل الهند انتاج مادة اشد خطرا على الحكم البريطاني من « الملح » ، الا وهي « غزل القطن » . ومن المعلـوم ان بريطانيا كانت تحتكر هذه الصناعة فتأخذ خـام القطـن

(*) الكلمة التي القاها الاستاذ محمد اديب العامري وزيـر الثقافة والاعلام في قاعة امانة العاصمة عمان مساء ٣٠ ــ ٤ ــ ١٩٦٩ .

من مستعمراتها لتغزله في مصانع بريطانيا ثم تبيعـــه لمستعمراتها . فلما قرر غاندي تعليم اهل الهنـد غـزل القطن جاء هذا القرار ضربة قاصمة لاقتصاديات بريطانيا هناك . وبدأ حملته من الشمال بحفنة من الناس ، ومشى فأخذ الناس ينضمون اليه ، فما وصل الى الجنوب حتى بلغت الحملة مئات الالوف . وهنا تجسد خطره مرة اخرى للمستعمرين ، فعادوا الى وسيلتهم في القمع فسجنوه ، فكان ذلك بمثابة الزيت يسكب على النار . وفي السجن اعلـن الصيام ايضا ، فقامت الهند كلها تتحدى القوانين ، واضطر الانجليز – في سبيل حفظ هذه القوانين – الـى سجن مئات الالوف من الناس . ولما ضاقـت بالنـاس السجون اضطر الانجليز لاخلاء سبيلهم ولجأوا الى غاندي نفسه يطلبون التفاوض معه . وهكذا استمر جهاد غاندي ونضاله . واخذ الناس في الهند الكبيرة يسيرون خلفه . يأمرهم فيطيعون . واصبح الرجل اسطورة وطنية .

وهبط غاندي عاصمة الامبراطورية سـنة ١٩٣١ بلباسه المعهود في الهنـد : ازار على الكتف وسـروال بسيط . ومشى حافي القدمين الى بلاط سانت جيمس يبتسم للشعب الذي اصطف على ارصفة الشوارع ، ليرى الرجل الاعزل المتجرد الذي جاء لمفاوضة الامبراطوريـة البريطانية ، التي كانت توصف يومئذ بأن الشمس لا تغيب عـن ممتلكاتهـا !

وفي هذا كله ارسل المرحوم شوقي قصيدة يحيي بها غاندي حين مر بمصر تلك السنة في طريقه الى لندن.

قـال منهـا :

بنـي مصـر ارفعـوا الغـار وحيـوا بطـل الهنـد
وأدوا واجبـا واقضـوا حقـوق العلـم الفـرد
اخوكـم فـي المقاسـاة وعـرك الموقـف النكـد
وفي التضحيـة الكـبرى وفـي المطلـب والجهـد
وفـي الجـرح وفـي الدمـع وفـي النفـي مـن المهـد
قفـوا حيـوه مـن قـرب علـى الفلـك ومـن بعـد
وغطـوا الـبر بـالآس وغطـوا البحـر بالـورد

وقـال :

سـلام النيـل يـا غانـدي وهـذا الزهـر مـن عنـدي
واجـلال مـن الاهـرا م والكرنـك والـبردي
ومـن مشيخـة الـوادي ومـن أشبالـه المـرد
سـلام حالـب الشـاة سـلام غـازل الـبرد
ومـن صـد عـن الملـح ولـم يقبـل علـى الشـهد
ومـن يـركـب سـاقيـ ـه مـن الهنـد الـى السـند
سـلام كلمـا صليـ ـت عريانـا وفـي اللبـد
وفي زاويـة السـجـن وفـي سلسلـة القيـد
مـن المائـدة الخضـرا ء خـذ حـذرك يـا (غانـدي)
ولاحـظ ورق السـير ومـا فـي ورق اللـورد
وكـن أبـرع مـن يلعـ ـب بالشـطرنج والنـرد
ولاق العبقـريـين لقـاء النـد للنـد
وقـل هاتـوا افاعيكـم أتـى الحـاوي مـن الهنـد

وفي سنة ١٩٤٧ استقلت الهند ومضت في طريق الاستقلال والحرية والمجد .

غويـه

أتدري باني اذوب حنينا اليك
وأهفو لأدنى خـبر ؟
تصدق اني أأرق حتى الصباح
ألـون منك الفكر ؟
أتعلم ان عنادي ضباب
وهجـري ريـاء ؟
وان التي تتجنى عليك
تمنـى لقـاء ؟

أأبصرت من خلل الكبرياء
دموعـا ذليلـه ؟
وروحـا تسيل على راحتيك
وتبـدو بخيلـه ؟

احبـك ،
يكـذب زم الشـفاه
احبـك ،
ويهـذي عنـادي
في هربي ، وافتعال الخلاف
وطـول ابتعـادي

وكنت امـوه وجـه السماء
وأكتـم عطـري
وأغمض عيني عما أحس
لتجـهل أمـري .

واشراقتي ، والتماع عيوني ،
وبـرد يديـه
تناديك يا سادرا في الضيـاع :
« تعـال اليـه » .

بغداد لميعة عباس عماره

ايها السادة .. لست اعرف استقلالا لامة في العصر الحديث جاء بغير عنف ، وانحصر فضـل معظمـه ، في جهاد رجل واحد ، وآتى اكله سراعـا على الرغم مـن ضخامة الحاكم وضعف المحكوم ، لست اعرف اسـتقلالا كهذا الذي جاء على يد غاندي الذي سماه بعضهم لذلـك « رجل القرن العشرين » . حياه الله في ذكراه فقد نفعنا حيا ، وها هو لا يزال الى اليوم ينفعنا ميتا خالد الذكر .

عمان ـ الاردن محمد اديب العامري

خناجر الاصابع

مهداة الى تلك التي تهرب في الشوق الى مقعد المساء

بقلم الياس خليل زخريا

★

شرب أمس بالشفتين على الدفء من كفها العطشى .
مدتها اليه في التمهل وتعطف الود وحنان الانفة .
ترفع براسها ابدا الى فوق
وهذه اللينة، يدها، ترود في الرفق على الملتهب من وجنتيه.
بينها وبين الغمامة منطلق قديم ومدار قديم .
مبحرة على نفسها في مشتهى الراحتين ابحارا وئيدا .
يسيل الشوق من خلجات صدرها الى حناجر اصابعها النهمة
لاصابعها مثل الحناجر ، مثل الشفاه .
لاصابعها مثل تمتمات الريشة على بياض الورق .
.... مثل صفق الجناح على نزوات الهواء العابر .
لهاتيك الاصابع في اللقاء ، حديث قد يكون في العتاب
افصح من كل حديث ...
وهمس قد يكون في البوح اعمق من ذياك البوح .
صور مكنونة في صور .
كلمات مكتومة في كلمات .
آمال متفتحة تنساب من مكامنها الى حواجز الضلوع .
ــ ماذا تصنعين ؟!
ــ اكتب ،
واقرا ،
واحرك هذه الاصابع ،
واتشهى النوم .
كأن الكتابة في البركات بركة الايمان .
كأن القراءة في الصلاة قدس التضرع .
كأن التحرك بالاصابع نقر على باب العمر في واحات السفر .
كأن النوم هو الغبطة الهاربة مع القلق في اسراء العبور .
والقت براسها كله من التعب على صدره .
سنديانة فتية تلقي بجذعها على متكأ الارض .
وشدت براحتيها كلتاهما على خديه .
غمرة من ضمات العائدين بعد طول الهجر الى حنين العتبة
... وعشرون كأنهن عد الحباب في مخطف التأمل .
قمرية تنطوي مع الذاكرة في قمرية غاربة .
اسمار تتساكت في اسمار على متناثر الرماد .

ثم ، من تكون هذه المتهدلة بخصائل شعرها على الكتفين
تحمل مع جدائلها الطويلة حقيبتها الملأى ، المثقلة
بالاقلام والورق .
عائدة الى البيت من غبار الكتب ، ودفاتر الحساب ،
وساحة المعرفة .
تهز بخصرها امتشاقا على جسمها الممتلىء الهارب من
ردائها الازرق .
تمشي وحدها على طرفي الزهو وعقد الاختيال .
... وشدها اليه وضمها بالضلوع والاجفان وغفلات المودة
كأنها امها ،
بلون العين ، بلون الشفة ، باطراف الاصابع النهمة ، برنة
الصوت الفارق في مسمع الانتظار ، بهذه الذات
الملأى بكبرياء الزمن وعناد الاقدار وصلابة الجبل .
تتلفت هنا ، تتلفت هناك ، تغرز نظرها في كل شيء ،
حتى في الوعاء الضيق .
اما النوم فهو آخر اواخر المطاف .
لم تتذكر انها نسيت من عمرها دقيقة في حاشية السرير
كل لمحة من اللمحات شاغل مشغول في مسارب الدنيا .
فصل ينطوي على غير فصل .
باب ينفتح على غير باب
ويتصارع فيها الريح مصارعة الخوف في دروب
الاجمة النائية .
اصداء بعيدة تنهار في الاشباح الواقفة .
ومن تراه يكون هذا الشبح الدائم الذي يقفز الى النافذة
من حافة الطريق ويضيع في جنبات البيت الواسع
وتوارت ابنتها في فناء الدار .

★

كانت خجلى ، اظنها كانت خجلى في ظلها المتكابر .
وقد يخاف الضوء على لألأة جبينه فينام في ابراج الزمن
على لذة الانزواء .
وقد يجزع الليل على كنوزه فيختبيء مع الحلم في جلباب
السواد .
هي دائمة على مرساة الرحيل .
تسافر في يقظة الانطلاق سفرا بعيدا .
... وهذا الصراع الدائم بين النوم واليقظة ... بين
الشهوة التي تسمو بالتراب حتى ينزوي فيه
الشوق . وبين الشهوة التي تغرق في الطين حتى
يختلج فيه القلق .
تدور على ميناء الزمن في حكاية المنتظر .
لقد انتظر عمره كله .
لقد روض نهمه كله على الجوع وعلى العطش
لقد اصبح فيه الجسد كأنه الغريب في لباس المستعار .
لقد تفسخت في احلامه الرؤى .
لقد تحطمت في مقابض ارادته دواخل المطامح

لقد التقاها وحدها في مقعد المساء ، تلون ، وتوشي ، وترقع عينيها بالشاشة المبهمة ، وتنهي ، وتأمر ، وتقسو ،
وقد تتعاطف فيألف كل يباس .
ويا للعجب ... كيف تنقلب فيها حشاشة النفس حتى لتظن انها تتساقط على الارض من شدة اللفح والنضج .
ظنها ثمرة فاذا بها غصن بري
ظنها ديمة فاذا بها سحابة مانعة
وبالنعمة هذا السحاب الابيض الشفاف الذي لا يتوارى فيه سره .
تعطش اصابعها فتنسى كل شيء
مخيف هو عطشها
حتى الشوق المتململ على شفتيها في التلهف ينتهي في العطش الى جفاء .

★

ذكرتني امس وهي الى جانبي في حديث اللقاء كيف ان السنين المتسارعة الى ضباب الخليج لا تقف بها الهداية دقيقة واحدة من دقائق التلفت .
اعطني راحتيك الغنيتين
ويا ايها الجسد المتعب ،
دونك في الرحيل هذه الدواة .
لقد نزلت فيها على اطراف الاصابع قوافل السفر
لولا البحر لكانت الدنيا كلها منحدر جبل
لولا الماء لكانت الافاق كلها محطات رمال
ونخترق الافق بخيوط الشراع
اقلع بنا ايها الزورق الهائم
عندنا في الجزر البعيدة مسالك ومخابىء وحكايات .
اوائلها هنا وخواتمها هناك .

★

حتى الخاتم المختوم اصبع حالمة على اصبع
وتنسج باناملها معاطف الزمن ويا للرداء المنسوج كلما لبسناه خلنا اننا خلعنا فيه كل شهواتنا الضائعة .
وما هذا البخور الطيب الذي يحرق مع التضرع في المجامر الا آهات عابرات في التسابيح على اعمدة الهياكل .
رفع الكاهن كأسه ليبارك
ثم أنزل يده كما ينزل الغمام .
ثم نادى المؤمنين كما ينادي البحري شباكه
ثم هدأ البحر وانتهت العاصفة .
ثم اخفت رأسها في صدري تتوارى فيه
... امراة ... كل حياته امراة ..

★

آمن في بساطة الايمان بأن الحجر الذي تلمسه على ترابه امراة عابرة ينصب في الارض نارا .
حتى النار هي اللهبة الملتهبة من ردائها الممزق على جسدها الهارب ..
تركها امس جالسة امام النافذة تتأمل بين الضوء والعتمة في قناطر اللون .
بنت لها على اقواس اللون :
قنطرة
ومعابر
وحناجر اصابع
ويا اختاه
ما زال في الشوق ينتظر اصابع الراحتين على خده المتعب

الياس خليل زخريا

عودة ولدي

مر بي يخطف الجفون
خطوه في الضمير حيث كان
مبحر لونه الحنون
يزرعه الورد في الزمان

كلما حدثت شجوني عيونه
خلت اني في الصيف اسلك درب البحر
أرمي اوار الحر بين القصب
أشم ريح العنب

أشرب همس الضوء والعباب
أركب أي موجة الى المدى سحاب
ارصف صدر الارض في وجه السما قباب
تطعمني خمر الصبا شؤونه
يرد في عظمي نضر العمر

جنحت كل ورده
على رصيف العوده
وبيتنا جار النجوم والرياح
يضحك فيه الحجر
تورق منه الجدر
فتكتسي دروبه من زهر وشاح

علي شلق



نسيم نصر

ابراهيم المازني

بقلم نسيم نصر

* * *

ولد ابراهيم المازني في القاهرة وترعرع فيها . وكانت ولادته في اول العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، وهي مرحلة من الزمن ، كان هذا الشرق العربي قد اخذ فيها بالتململ من سباته الطويل ، لمباشرة طور انتقالي ، كان رواده ، في الغالب ، يعملون على ضفاف النيل ، وبينهم عدد كبير من غير المصريين ، خاصتهم من اللبنانيين . وقد قوى هذا الشعور بضرورة الانتفاضات التحررية ، في ابناء الاقطار العربية ، ذلك النور الجديد الذي ارسل شرارته الاولى ، في الحياة الفكرية ، من وراء البحار على يد الطليعة من اعلام ادبنا ، امثال جبران والريحاني . ولم يكد ينطوي العقد الاول من القرن العشرين ، حتى كان للنهضة الحديثة رعيل اول في مصر ، من كبار ادبائه ، ابراهيم عبد القادر المازني .

عرف المازني في البيت الذي ولد فيه شقاء اليتم وآلامه ، اذ مات ابوه وهو حدث ، فاستولى اخوه الاكبر على ما خلف الوالد وبدده في كل سبيل ، ملقيا بابراهيم وامه ، التي لم تكن أم الاخ الاكبر ، في وهدة الفقر والحرمان . ولكن هذه الام يبدو انها تذرعت بالصبر وحنان الامومة ، واعتنت بابنها ابراهيم عناية ، تركت اثرا عميقا في نفسه . فها هو يقول في امه الارملة : صارت امي هي الام والاب ، ثم صارت مع الايام ، هي الصديق والروح الملهم .

وانفقت عليه امه من عرق الجبين ودم القلب ، حتى نال شهادة مدرسة دار المعلمين العالية سنة ١٩٠٩ . ولكي يختصر الطريق الى تخفيف العبء عن امه قال : « وصرت معلما وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك . ولكنني لم أفرح بها لان ذلك كان بكرهي .. » وراح ، بعد ان حاول ان يتعلم الطب ، فلم يكن له ، يحاول تعلم الهندسة ، فأعوزه المال . وهكذا أضطر الى البقاء في مهنة التعليم حتى سنة ١٩١٩ . ومن تلك السنة الفاصلة في تاريخ مصر الحديث، احترف المازني الادب والصحافة.

واذا كانت المدرسة العالية للمعلمين قد خرجت ابراهيم المازني ليكون مدرسا ، فقد عرف بدأبه ، وسعة مطالعاته ، وقوة طموحه ، ان يتخرج على عباقرة الادبين : العربي والانكليزي . وساند قراءاته الادبية بقراءات فلسفية واجتماعية ، فكانت له ثقافة جامعة راقية .

غير ان التلمذة على الحياة ، ساعدته على تكوين شخصية استوفت عناصرها من نزعته الى الدعابة صغيرا ، ومن تبرمه بتجارب الحياة القاسية صبيا ، ومن استخفافه بالحياة كبيرا . فاذا بهذه العناصر المتنابية ، تتحول في ذاته الى مزيج ينضح بالسخرية ، التي فيها من روح التشاؤم ومن روح النكتة ، ما طبع ادبه بطابع مشوق ، يقبل عليه القراء من كل نوع . فاسمعه يقول في مقابلة بين نفسه وبطل روايته المعروفة « ابراهيم الكاتب » :

« ولست احتاج الى ان اقول اني لست بابراهيم الذي تصفه الرواية ، وان هذا المخلوق ما كان قط ولا فتح عينيه على الحياة الا في روايتي . ثم اني لست أرضى ان اكونه . فما تعجبني سيرته ولا مزاجه ولا التفاتات ذهنه . وقد ندمت على خلقه بعد ان سويته . فلو كان دمية لحطمتها وطحنتها ، ولو كان صديقا لجفوته ونبوت به ، وذلك انه يتناول الحياة باحتفال ، وانا اتلقاها بغير احتفال » . الى ان قال : « فليس بيننا ، كما ترى ، سوى ان كلينا قصير قميء . وانا ازيد عليه أني أصبت بالعرج ، فليته كان هو المصاب وانا الناجي المعافى » .

وحدث ان اعتدى كاتب على نقد لابراهيم المازني في شعر حافظ ابراهيم ونشره على انه له . فجاء صديق للمازني يسأله رأيه في صنيع المعتدي السارق ، فقال له ، بعد الحاح لابداء الرأي : اسمع ، يا صاحبي :

« زعموا ان لصا تسلل الى بيت ، فألفاه افرغ من فؤاد ام موسى . وعز عليه ان ينقلب صفر اليدين ، او كما يقول العرب (رحمهم الله او ما شاء فليصنع بهم) خالي الوفاض بادي الانقاض . فواصل البحث وهو مغيظ

محنق . فما راعه الا رجل في بعض الغرف مختبىء في ركن ووجهه الى الحائط . فلما ثابت اليه نفسه بعد الدهشة ، قال : لعله لص مثلي ... وضحك ، ودنا منه فلم يتحرك . فوضع يده على كتفه برفق وسأله : من أنت ، يا هذا ، وما تصنع هنا ؟ فاستدار الرجل ووجهه الى الارض ، وقال : انا صاحب هذا البيت ، وقد شعرت بدخولك وادركت غرضك فتواريت خجلا منك » .

ثم التفت المازني الى صديقه وقال : « وانا كصاحب هذا البيت العاري ، استحي ان انبه الى سطو صاحبنا المتلصص على نقدي ، مخافة ان ينبه الناس الى ما ارجو ان يكونوا قد نسوا من أني انا كاتب ذلك الهراء القديم » .

وهكذا لا يستطيع معرف بشخصية هذا الكاتب الكبير ، ان يعرف به افضل من تعريفه بنفسه . فقد كان في حياة المازني الشخصية والاجتماعية ، اسباب كثيرة تفاعلت في ذاته فجمعت الاضداد : فبينا تراه ماضيا في نقد جارح ، او في ثورة على المتزلفين الى ذوي السلطان ، اذا بك تراه يستحيل الى انسان وديع لطيف الكلمة حسن البادرة . ولا بد لدارس حياة هذا الاديب ، من ان يعزو هذا التفاعل الى المؤثرات التي تثقف بها ، بعد التجارب القاسية التي مر بها . وهو في ادبه الساخر ، يقرس ويضحك ويلطف النقدة بالنكتة . وقد غلبت عليه النكتة في مجالس الادب والاصحاب ، على الرغم من انه ، في عمق النظرة اليه ، تتملكه السخرية ويسطو عليه الاستخفاف بالحياة .

الكاتب الناقد

وقع المازني على حقيقة المقالة النثرية الفنية في أزين وجوهها الحديثة . فلقد رآها صورة عن الحياة ، تمر تحت عينيه ، ولكنها صورة مطبوعة بطابع الاديب الساخر المستخف بأعراض الحياة . ولكنه استخفاف فيه كثير من الثورة على التقاليد البالية والعادات السخيفة . ومن تبصر في نظراته الاجتماعية في هذه المقالات ، المتناولة ما يمر امامه من صور الحياة رآه لا يتكلف جدة الواعظ المرشد ، ولا وقار الحكيم المربي ، وانما هو صاحب اسلوب حر ، تحلل من قيود الصناعة المتكلفة ، صادرا فيه عن تجربة شخصية ، تحليها صراحة الواثق من نفسه ، الصادق في عفوية الكلمة الجريئة الحرة . ومصداقا لهذه الصراحة الصادقة ، نرافقه قليلا وهو ينظر « من نافذته » ويرسم لنا ما تراءى له من تلك النافذة .

واذا بدا للمازني ان يكون اكثر حيوية في مقالته ، واوضح قصدا ، اعتمد الحوار بينه وبين من يحدثنا عنهم . وهذا الحوار الذي قوى به مقالاته ، جعله ايضا ركنا من قصصه . وهاكم ما تقول ، في هذا الحوار المازني ، نعمات احمد فؤاد : « حواره كسائر كتابته ، تتمثل فيه البساطة التي لم يعد عليها الفن ، فلا يتكلف ولا يفتعل الكلام افتعالا .. وهذه البساطة التي تذكر عنه هي ميزته الكبرى . غير انها تنبع من غور ، وتدل على نباهة رأي ، تقدم لها شاهدا بعض ما جاء في مقاله « الكتب والخلود » ، وهو مقال كتبه ، كما يؤكد ذلك احد كبار الباحثين في الادب ، على أثر مطالعته كتابا اهدته اليه الاديبة المشهورة ، مي ، اذ وقع فيه على هذه العبارة :

من الكتاب من هو ملخص جلسات ومدون وقائع ، ومنهم « كولمب » جاء لاقتحام الاخطار واكتشاف عوالم مجهولة .. فقال : وانا ايضا اكتب وانظم الشعر ! فما مصير كل هذا الذي سودت به الورق ، وشغلت به المطابع وصدعت القراء ؟ انه سيفني ويطوى بلا مراء . فقد قضى الحظ ان يكون عصرنا عصر تمهيد ، وان يشتغل ابناؤه بقطع هذه الجبال التي سدت الطريق وبتسوية الارض لمن يأتون بعدهم . ومن الذي يذكر الحمال الذين سووا الارض ومهدوها ورصفوها ؟ . ثم يقول : وبعد ان تمهد الطريق ، يأتي نفر من بعدنا ويسيرون الى اخره ، ويقيمون على جانبيه القصور شامخة باذخة ، فيذكرون بقصورهم ، وننسى نحن الذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد . فلندع الخلود اذن ، ولنسأل كم شبرا مهدنا من الطريق ؟ »

واذا كان المازني في جده ناقدا مخلصا لا يتحاشى ان يتناول ادبه بالنقدات القاسية ، فماذا تكون حاله مع الاخرين ؟ ففي كتابه « حصاد الهشيم » ، يروي لنا زيارة شاب متعلم جاءه يعرض عليه مؤلفا فرغ منه ... قال : « زارني ذات يوم شاب ازهري النشأة ، لاتنسجم البذلة الافرنجية مع جسمه ، ولا يعتدل الطربوش على رأسه . وكان يحمل تحت ابطه كراسة مما يستعمل التلاميذ في المدارس ، محشوة بكلام كثير من الشعر .. وما هو الا ان جلس ، حتى استأذن في قراءة ما كتبه في كراسته . ولم يكد يفعل حتى قلت لنفسي : انه لم يغير شيئا حين غير ثيابه ، ولم يزد على ان ردد بعبارة تعتورها الركاكة ، ما كتبه ابن رشيق واضرابه بلغة جزلة . »

وفي جملة ما يروق مطالع ادب المازني ، دقة في الوصف تنكشف فيها العواطف وتروح على السجية وفي هذه العبارة التي نقتطفها من جلسة كانت له على شاطىء البحر ، خير دليل على صحة ما قدمنا . قال :

« وغابت الشمس وانتشرت على الارض غيابات الطفل ، فعدت الى مقعدي انظر الى الموج المشرئب . وجاش في صدري مثله ، وجعلت طيوب الماضي تبرز من ظلامه وتخطر امامي ثم تغيب ويلفها ما هو اظلم . ولكن طيفا واحدا ظل ماثلا لعيني حيثما ادرتها ، ومالئا شعاب نفسي بالاحساس به ، ومناجيا لي من زفيف الرياح وتهزم الامواج . وفيه وفي تمثل الحب المفقود والامل الضائع . وخامرني هذا الخاطر ، والح حتى

القصيدة المثيرة

... وعندما ستقرأين هذه القصيدة المثيره
تصير أحرفي على شفاهك الصغيره
أسطورة ، وزهرة أثيره
ويسـقط القمـر
في رقصة جديدة أخيره
يلتف بالنسيان .. بالقدر
وانت يا حمامة زرقاء يا ... اميره
تقتحم الاشجـار
فتحطم الاسـوار
بصدرك المورق ... بالضفيره ..
يداعب الفراشة الغريره
لتكبر الزهرة في الحديقة الصغيره

يجيئك الزمـان
بالحب ، بالامطار والغصون
باللون والسكون
كفارس محير العيون
ترهقه في الرؤيـة الجفـون
يجيئك الزمـان شـدو قافلـة
مطوءة بالشعر ، بالغناء والحنان
يجيئك الزمان صوت شاعر حزين
مـن جزر الكـآبه
الحانـه الفصول

ريـاحه الحقـول
يمـر في سحـابه
وفي يديك ــ غابتا حنين ــ
سيرقـد الصبـاح
مظللا بالحب والجراح ....

وتقرأين هذه القصيدة المثيره
للمـرة الاخيـره
فتصبح الاوراق في يديك كالجزيره
وانت يا ... أسـيره
في سـفن الحروف
في صوتك المخضوضر الشفيف
يجيء بالرمـاح والسـيوف
يحـاصر القصـيده
بلهفـة جديده
فيسقط القمـر
ويسقط القمـر
وتسالين اينها قصيدتي المثيره ؟
على يديك زهرة حمراء
قصيدتي المثيره :
تلفتي في ورقة بيضاء ...

برمانا ــ لبنان

فوزي شلق

خلتني جثة غريق ردها الموج الطاغي الى رمال الشاطىء. ولج بي هذا الوهم حتى ملت عن الصخرة الى الرمال ورقدت عليها . واومأت الى الامواج ان اركدي ، فقد ذهب كل شيء ، انتسخ الامل وغاض معين الحب وجفت الحياة . »

والى جانب هذا النقد الاجتماعي الذي تناول بيئة المازني ، غالبا ، نجد له ضربا اخر من النقد ، هو النقد الادبي . ولسنا نطيل الكلام على هذه الناحية من ادب هذا الكاتب ، وانما نشير اشارة عابرة الى نقده القدامى من الادباء ثم المعاصرين فنقول :

تناول القدامى في دراسات افرغت غالبا في شيء من البعد عن الهوى ، معتمدا الصور التحليلية ، مقدما الاراء مشفوعة بالشواهد الدامغة . يعيبه احيانا بعض المبالغة التي يغمرها النظر الباحث النزيه .

غير انه في نقده المعاصرين ، لم يسلم من الخروج عن جادة العقل الباحث الى شطط من الذهاب مع الهوى ، ليمضي الى تهجم او هجاء . فلم يوفر من هذا النقد الجارح امثال طه حسين وحافظ ابراهيم وعبد الرحمن شكري وسواهم . ولما كان نقده هؤلاء المعاصرين الادباء ، وهو ما يزال شابا ، رد محمد مندور هذا العنف في الخصومة عند المازني ، الى ما اسماه « مرض العصر » ، وهو حالة تعتري الشاب من تصادم الامال بالواقع المرير ، فيتولد فيهم السخط والشكوى . وزاد مندور قائلا : « ان المازني قد اثبت ان هناك وسيلة اخرى لتخليص النفس من العذاب المستحكم . وهذه الوسيلة هي الفلسفة الساخرة المستخفة .. »

وهكذا غلبت السخرية على ادب المازني فعلا .

نسيم نصر



مسرحية لهنري بيـك

ترجمة ابراهيم المصري

عدت هذه الايام الى مطالعة بعض اعمال الاديب الفرنسي « هنري بيك » الذي اشتهر في مطلع هذا القرن بالنزعة الواقعية في التاليف المسرحي . وقد اعجبتني من اعماله هذه المسرحية الصغيرة الشائقة ، فرأيت ان انقلها الى القراء .

* * *

المشهد الاول

انطونيا – هنري

انطونيا – اقول لك ارحل .. لماذا لا ترحل ؟ .. ماذا تنتظر ؟ .. انا ذاهبة الى مخدعي لانام ...

هنري – ما كنت انتظر منك ابدا ان تصرفيني على هذه الصورة .

انطونيا – هذه غلطتك . لماذا جئت متاخرا ؟ .. لماذا جئت في وقت لا انتظرك فيه ؟ ..

هنري – اليس من حقي ان ادخل بيتك في اي وقت اشاء ؟ ..

انطونيا مستنكرة – حقك ؟! .. انت لا تتكلم ابدا الا عن حقك .. من ذا الذي قال لك اني عندما عرفتك تعهدت بالا اقابل في بيتي رجلا سواك ؟ ..

هنري – ولكني اردت ان اجيئك بالفاتورة .. فاتورة الحساب الذي تطالبك به خياطتك ... لقد دفعت المبلغ كله من تلقاء نفسي وبدون حاجة الى اية اشارة منك ..

انطونيا – اشكرك .. ولكني لا اسمح لك بان تضايقني ولا بأن تتكلم عن حقوقك .. انا اعطي وانت تدفع .. فنحن متساويان .. على انك مهما دفعت فلن امنحك ابدا حق الاعتداء على حريتي ! ... لا ... لا تعتقد ان في وسعك ان تسلبني هذه الحرية لانك اصبحت عشيقي ! .. ثم ... لماذا لم تتصل بشركة التامين لتوقع على البوليصة التي وعدتني بها ، والتي يمكن ان تقنعني بصدق حبك وتضمن لي مستقبلي وحياتي ! ..

هنري – آثرت ان افي دين الخياطة اولا ..

انطونيا – لا ... كان يجب ان تفي الدين وتجيئني بالبوليصة ايضا ... اما وقد غلبت المهم على الاهم ، فانا اشعر انك لم تعد تحبني ، واشعر فوق ذلك انك تمنح نفسك من السلطات ما يزعجني ... لا ... لن ابيعك حريتي ! .. لست السيد الآمر هنا ! ... انا صاحبة البيت ! .. انا وحدي ! ... ارحل .. يمكنك الان ان ترحل ! ...

هنري – سارحل عندما اريد .

انطونيا – عظيم جدا .. طاب لك اذن .. « وتدعه في الصالون ذاهلا مشدوهـا وتنصرف الى مخدعها غاضبة » .

المشهد الثاني

هنري بمفرده

هنري – ما الذي حملني على الاتصال السافر بهذه الغانية الشرهة الطماعة التي لا قلب لها ؟ ! .. كان لها عشيق ثري غيري يرعاها وينفق عليها ، وكنت انا استميلها ببعض الهدايا ، واغافل العشيق الثري ، وافوز بقسطي من الغنيمة ... فلماذا اردت ان افوز بالغنيمة كلها ؟ ... لماذا اردت ان اطرد ذلك العشيق واحل محله ؟ .. كنت غيورا .. اردت ان تكون المرأة لي وحدي .. لم استطع ان اتصورها ملكا لغريمي ! .. فطردت ذلك الغريم لاجلس على العرش بمفردي .. وهاندا ادفع .. ادفع الثمن غاليا من حر مالي وخالص كرامتي ! ... اجل ... انها تستغلني ! ... تستنزفني ! .. ومن يدري ، فلعلها تخدعني .. ولعل قدومي المفاجيء الى هنا قد ازعجها لانها في صحبة رجل آخر تخفيه في مخدعها .. لا .. لن اتحمل هذا بعد اليوم ولن اصبر عليه ! ... « يفتح فجاة باب مخدع انطونيا ويبدو منه فرانسوا وهو يهم بان يعانقها . فتدفعه المرأة الى الداخل في عنف قبل ان يراه هنري ثم تغلق باب المخدع وتخرج الى البهو »

المشهد الثالث

مذكوران

انطونيا – اما زلت هنا ؟ ...

هنري – اسمعي يا انطونيا ... الصراحة اجدى ... يخيل الي انك لست في البيت بمفردك ، او انك الان على موعد مع رجل آخر ، ولذلك تريدين التخلص مني .

انطونيا صارخة – ماذا ؟ .. اتشك في ؟ .. الا تثق بي ؟ .. اتتهمني وانت في بيتي ؟ .. لا .. هذا كثير .. لقد جاوزت حدك ، ومن واجبك ان تخرج الساعة من هنا حالا على الا تعود الى هذا البيت ابدا .. افهمت ؟ ... اخرج .. ماذا تنتظر ؟ ...

هنري – انطونيا ...

انطونيا – اخرج حالا .

هنري مستضعفا – ومتى اراك ؟ ..

انطونيا – عندما تصبح عاقلا ومؤدبا .

هنري – غدا ؟ ..

انطونيا – لا ادري ...

هنري – بعد غد ؟ ..

انطونيا – في اي وقت شئت ما خلا الان .. فانا متعبة ومصدوعة وبي حاجة شديدة الى النوم .. اخرج « يتردد لحظة ثم ينحني ويقبل يدها مستسلما وينصرف » .

انطونيا تتنفس الصعداء – اف .. لقد ذهب ! .. من كان يمكن ان يقول ان هذا الرجل الذي استظرفته بالامس ، يصبح اليوم في نظري اثقل من الهم على القلب ! .. ولكن الرجال هم الذين يتغيرون .. اما نحن النساء فلا يفهمنا ولا يقدرنا احد .. (وتنادي) تعال .. تعال يا فرانسوا ..

المشهد الرابع

انطونيا – فرانسوا

فرانسوا يبرز من المخدع ويروح ويغدو في البهو متبرما ساخطا – لا .. هذا فوق طاقتي .. لم أعد احتمل .. هذه حال يجب ان تنتهي ..

انطونيا – سكن روعك واجلس .. اجلس قليلا بجانبي ايها الشاب الاحمق الجميل ..

فرانسوا – دعيني .. ان دمي كله يغلي في عروقي ، واني لابغض ذلك الرجل من صميم قلبي .. لقد نغص علي اللحظات الغالية التي امضيتها بقربك .. ثم اني كلما تمثلته بين ذراعيك وكلما رأيته حائلا بيني وبينك ، اشتد بغضي وسخطي ، واصابني من فرط اللوعة شبه خبال ..

انطونيا – اتحبني الى هذا الحد ؟ .

فرانسوا – اني اعبدك .

انطونيا – وكذلك انا .. ولكن ما حيلتي فيك وانت فقير .. كيف يمكن ان اتخلى عن صديقي الثري من اجلك وانت بائس معدم لا تملك شروى نقير ؟ ..

فرانسوا يدنو منها ويحدق اليها لحظة ثم يقول – واذا توافر لدي المال .. اذا هبطت

علي ثروة من السماء ؟ ..

انطونيا ـ عندئذ اطرد صديقي شر طرد واصبح ملكا لك وحدك ايها الحبيب ... اقسم لك اني زهدت في ذلك الابله المستهتر المغرور .. انه طاغية غليظ مستبد .. لم اره قط هكذا .. انه اليوم اصلع ومستكرش ودميم .. ولكني في حاجة الى ماله .. وكذلك في حاجة اليك انت .. ألست تنعم على حسابه ؟ .. الست انت الذي يظفر بنصيب الاسد دون ان يتكبد اية نفقات ؟ .. فما الذي يحزنك ويكربك ؟ ..

فرانسوا ـ الغيرة تنهشني !.. لا استطيع ان اتصور نفسي ابيح للغير عن طيب خاطر شيئا اعز علي من حياتي ! .. انا احس في هذا انتهاكا مروعا لشرفي وكرامتي ..

انطونيا ـ تحس هذا بعد ستة اشهر ؟ ..

فرانسوا ـ نعم .. شرفي .. شرفي وكرامتي ..

انطونيا مقهقهة ـ شرفه ! .. كرامته ! .. « وتلتفت اليه وفي حدة » ولكن ماذا تريد ؟

فرانسوا ـ اما ان تكوني لي بمفردي واما ان ارحل ! ..

انطونيا مستهولة ـ تطلب الي أن اضحي بهنري ؟ ...

فرانسوا ـ اذا كنت حقا عاشقة ...

انطونيا ـ وحياتي ومطالبي ... ونفقاتي ... وهـذا الترف الـذي الفته والـذي لا استطيع الا ان اتقلب فيه ؟

فرانسوا ـ كل تضحية تهون اذا كان الحب صادقا .

انطونيا ـ ولكن الحب هو ثمرة الترف يا حبيبي . اما ثمرة الفقر فخصام ونزاع وكراهية وحقد ..

فرانسوا ـ الحب يهزأ بكل شيء . وهو يكسو وجه الفقر طبقة من ذهب .

انطونيا ـ وهذا ما كفرت به انا من زمن بعيد .. فلا تتوقع مني ان اتخلى عن هنري كي اجر معك أذيال البؤس التي تعتقد انت انها حلل من الذهب الابريز .. لا .. هـذا محال .. محال .

فرانسوا ـ لقد قلت كلمتي . اما ان تكوني لي وحدي واما ان ينتهي بيننا كل شيء ! ..

انطونيا ـ انت وشأنك .. انت حر ..

فرانسوا ـ اذن فالوداع ..

انطونيا ـ الوداع ... « ويندفع فرانسوا نحو الباب غاضبا ويخرج » .

المشهد الخامس

انطونيـا بمفردهـا

انطونيا ـ يذهـب .. يذهـب على هـذه الصورة . يتخلى عني .. دون ان يشكرني ؟! ... يا له من جاحد ابله معتوه .. ومع ذلك فقد كان يسليني .. كنت على وشك ان احبه .. كنت اجد بجواره متنفسا لصدري وكنت اخالس الحب في صحبته دون ان أدع الحب يختم على بصري ، ويحرمني المال والترف واسباب النعيم التي اعتبر نفسي بلهاء لو تركت الحب يسرقها مني ! ... اسفاه ... اسفاه عليك يا فرانسوا الجميل « تدخل الخادمة أديل حاملة رسالتين » .

اديل ـ هذه رسالة من ذلك الفتى الشاعر المدعو اندريه دي لاتور .. وهذه رسالة كتبها المسيو فرانسوا هنا .. في البهـو الصغير .. كتبها الان وسلمني اياها مع بعض اوراق اخرى وجلس ينتظر ..

انطونيا مبتهجة ـ اما زال هنا ؟ .. كتب الي .. هات الرسالة .. هات لنرى . اما



ابراهيم المصري

●

رسالة ذلك الشاعر فسأقرؤها بعد اسبوع .. دعيها جانبا .. « تنصرف الخادمـة وتنعم انطونيا النظر في الرسالة وتقرأ » ..

« حبيبتي انطونيا

لقد كتمت عنك سري ، وخيرتك بيني وبين صديقـك الثري هنري لامتحن حبـك . فاحتقرتني وصرفتني وآثرت المال على الحب . ولكني ما زلت اعبدك يا انطونيا وليس في وسعي أن استغني عنك . ولذلك ساكشف لك عن سري ، عساي ان اجتذبك بالمال بعد ان فشلت في اجتذابك بالحب . فاسمعي . لقد آلت الي بعد وفاة عمي الذي مات منذ اسبوع ثروة طائلة تقدر بآلاف الفرنكات .. فانا اهبك اياها ، واضعها تحت قدميـك ، على شرط .. على شرط أن تطردي صديقـك هنري وان تكوني لي وحدي ! .. انا صابر ومنتظر » . « فرانسوا »

« حاشية ـ مع هذا بعض اوراق رسمية تثبت لك صدق كلامي .. »

انطونيا تسرع الى باب الصـدر وتصرخ ـ أديل ... لا تدعيه يرحل .. لينتظر لحظة ايضا ... « وتجلس من فورها الى مكتبهـا وتكتب لصديقها هنري وهي تقرأ ما تكتب »

« حضرة السيد هنري

« انا اكرهك .. اتفهم .. اكرهك .. لانك اصبحت مستبدا واصلع ومستكرشا ودميما .. اياك ان تعترض طريقي .. اياك ان تزورني .. اياك ان تدخل بيتي والا طردتك كما يطرد الكلب الاجرب المسعور . افهمت . الوداع » .. انه يستحق هذا واكثر ... « وتحين منها التفاتة فتبصر الرسالة الثانية فتخطفها وتفضها وتقول » سأقرؤها الان .. ان ذلك الفتى الشاعر يعجبني .. لينتظر فرانسوا بضع دقائق ايضا كي تثور عواطفه فيزداد تعلقا بي ... « وتنظر في الرسالة وتصيح » شعر ... ان اندريه يكتب الي شعرا ! .. وتقرأ ...

« عيناك اجمل من السماء الصافية .
وابتسامتك افتن من الزهرة الطاهرة .
وشعر الثائر المسترسل الغزير
اروع من امواج البحر مجتمعه ..
فدعيني انعم بصفائك ونضرتك وطهرك ..
واذا شئت ان تسعديني ، فضميني بين امواج شعرك ودعيني اموت في اعماق البحر ! .. »

ـ انطونيا هاتفة ـ شعر عظيم .. هـذا الفتى يعرف كيف يخاطبني .. هـذا الفتى سيصبح يوما بفضلي الفريد دي موسيه الثاني ... انه ظريف ، ويجب الا انسـاه « وتنطرح على مقعدها في عظمـة وتصيح » أديل ... ليدخل المسيو فرانسوا ..

المشهد السادس

انطونيـا ـ فرانسـوا

انطونيا تناوله رسالتها الى هنري ـ اقرأ ... لقد صرفته .. لقد طردته .. انتهى « وتتجه نحو باب الصدر » خـذي هـذه الرسالة يا اديل وكلفي البوابة بالقائها في صندوق البريد .

فرانسوا ـ منذ هذه اللحظة تبدأ سعادتي.

انطونيا ـ وانا ايضا يا حبيبي ..

فرانسوا ـ لن آسف ابدا على الثروة التي اعتزمت ان اهبك اياها ما دمت قد تأكدت ان الاخر قد انصرف ... « وينظر حوله مختالا ويهتف » اذن فقد اصبح هذا البيت بيتي ؟!

انطونيا ــ بيتك ولا شك ..

فرانسوا ــ كم انا سعيد .. تعالي هنا . اجلسي واستمعي .. استمعي الي قليلا .. وتدبري .

انطونيا في دهشة ــ ماذا ؟

فرانسوا ــ اظن بل اعتقد ان كل رجل عليه بالتزامات ، يجب ان يتمتع لقاءها بحقوق ... اليس كذلك ؟ ..

انطونيا منتفضة ــ حقوق ؟ ..

فرانسوا ــ لا تغضبي ... ألست انا الذي سيتولى الانفاق عليك ، اذن فالمنطق يقضي بأن تمنحيني بعض الحقوق .

انطونيا ــ وما هي تلك الحقوق من فضلك.

فرانسوا ــ لقد رضيت بأن احل محل هنري . ولكني لن ارضى ابدا بأن اعامل بالاسلوب الذي كان يعامل هو به .. لماذا تقطبين حاجبيك ..

انطونيا ــ ابدا . استمر .. استمر ...

فرانسوا ــ انا رجل عادل وصريح .. واذا كنت سأنفق المال ، فلا بد ..لابد ان احرص على الكرامة .

انطونيا ــ اية كرامة ؟

فرانسوا ــ كرامتي وكرامتك ..

انطونيا ــ ما معنى هذا ؟

فرانسوا ــ معناه اني لا احب منك هذا الاسراف في الحرية ، وهذا الاسراف في التبذل ، وهذا الاسراف في العبث والاستهتار .. اريد ان اهذب من اخلاقك وطباعك .. اريد ان اتمكن من الظهور معك في المجتمعات الراقية .. اريد ان ارفع راسي بك ... ويجب ، يجب ان تساعديني ... يجب أن تبدئي منذ اليوم بل منذ الساعة بقطع كل صلة لك باولئك النساء الخليعات المتهتكات اللاتي تطلق عليهن تلك الكلمة المروعة « غانيات » .

انطونيا ــ اذن يجب ان تبدأ انت فتعرفني بأمك لاستطيع ان اكون امرأة ممتازة وشريفة مثلها ...

فرانسوا متجهما ــ ارجو ان تذكري أمي بالخير على الدوام أذ لولاها ما اتاحت لك الاقدار ان تعرفي رجلا فاضلا مثلي ..

انطونيا ــ للاقدار سخريات تضحكني واعجز عن فهمها ...

فرانسوا ــ ومع ذلك فهي بسيطة ... كل ما اطلبه منك هو ان تحترمي الرجل الذي اخذ على عاتقه عبء الانفاق عليك ، وان تطيعيه ، وان تكوني اكثر دماثة وأوفر ادبا واميل الى الحشمة والتحفظ والرصانة والجد ...

انطونيا تحدق اليه طويلا ثم تهز كتفيها وتقول ــ كم تبلغ ثروة عمك المتوفي ؟ ...

فرانسوا ــ ثلثمائة الف فرنك .

انطونيا ــ مبلغ لا بأس به .

فرانسوا ــ وفي وسعنا ان نضاعفه لو عرفنا كيف نستثمره .. ولكن الاستثمار محال بدون اقتصاد .. فيجب ، يجب ان تقتصدي في نفقاتك ، وفي ادوات زينتك ، وفي ...

انطونيا ــ وفي مأكلي ومشربي ، وفي حديثي وابتسامي ، بل في حركتي وتنفسي .. الحق معك . انت رجل عاقل ويجب ان اودع الدنيا لاني عرفتك .. ولكني قبل ان اودعها التمس منك ان تجيبني الى رغبة اخيرة ...

فرانسوا ــ وما هي ؟

انطونيا ــ قبعة اريد ان تبتاعها لي اليوم.

فرانسوا ــ وكم ثمنها ..

انطونيا ــ لا يزيد على ثلاثين الف فرنك

فرانسوا مذعورا ــ ولكن هذا كثير جدا ..

انطونيا ــ ورغبة اخرى ..

فرانسوا ــ ايضا ؟

انطونيا ــ بوليصة تأمين على حياتي .

فرانسوا ــ انت مجنونة !

انطونيا ــ لاني احبك واريد ان اطمئن على مستقبلي كي استطيع ان اخلص لك ، واحرص على مالك ، واتفانى في خدمتك وطاعتك .

فرانسوا ــ اسمعي .. ان بوليصة التامين تحتاج الى تفكير طويل .. وانا لن ابخل عليك بها ولكن بعد ان امتحنك واستوثق من استجابتك الى الحياة الجديدة التي انشدها.

انطونيا ــ حسنا .. والقبعة ؟

فرانسوا ــ القبعة .. ثلاثون الف فرنك !

انطونيا ــ لا تبك .. لا اريد شيئا ... حبك وحده يكفيني .. مجرد وجودك بقربي يغنيني حتى عن الطعاموالشراب .. سأقتصد ... سأضحي بكل شيء من اجلك ولو خنقت جميع رغباتي واضطررت الى الظهور امام الناس في اسمال بالية مهلهلة ... « وتبكي هي » .

فرانسوا يضمها الى صدره ملهوفا ــ لا .. لن تبدأ حياتنا بالدموع .. سأبتاع لك القبعة .. اليوم .. بل الساعة . هيا بنا ..

انطونيا صائحة وقد اشرق وجهها ــ ما اجملك واكرمك ! .. اشكرك من صميم فؤادي .. ولكن واجب الشرف وعرفان الجميل يقتضيني ان اشكره هو ايضا ..

فرانسوا ــ من هو ؟ ..

انطونيا ــ عمك ! .. يجب ان نزور الان ضريحه ... يجب ان نبتاع طاقة جميلة من الزهر ونضعها على الضريح ..

فرانسوا معجبا ومأخوذا ــ يا لك من امرأة نبيلة وفاتنة ..

انطونيا تنادي الخادمة ــ اديل .. ناوليني معطفي ..

اديل تجيئها بالمعطف وتنحني عليها وهي تجذبها الى مقدمة المسرح وتهمس في اذنها ــ انه هنا .. عندي .. تسلل الى المطبخ من باب الحديقة الخلفي .. وابى ان يخرج ..

انطونيا ــ من ؟ ..

اديل ــ الشاعر ...

انطونيا ــ رحبي به واكرميه .. قدمي اليه شرابا ، واستبقيه في المطبخ ما استطعت سأعود ... سأعود حالا ..

فرانسوا في صوت جهير ــ ماذا تقول لك اديل ؟ .. انا لا احب الهمس والاسرار ..

انطونيا ــ تقول أديل ان اليوم بالنسبة لي هو يوم عيد ، واني يجب الا انسى الذهاب الى الكنيسة لاشكر الله .

فرانسوا ــ انها على حق . سنذهب الى الكنيسة اولا ثم نزور ضريحعمي .. هيا بنا .

انطونيا لاديل ــ أسلقي الدجاجة جيدا .. ومتى عدت فسأحمرها بنفسي . « وتتابط ذراع فرانسوا وتخرج مقهقهة » .

المشهد السابع

أديل ثم الشاعر اندريه

اندريه يطل برأسه من احد الابواب الجانبية ــ اليست هنا ؟ ..

اديل ــ خرجت ولكنها ستعود .. اكبر ظني ان رسالتك خلبتها وفعلت في نفسها فعل السحر ..

اندريه ــ لا شك في ذلك . انها قطعة من البلاغة الحية . انها عصير نابض مختلج أستقطرته من دماغي وقلبي في اكثر من اربع ساعات ...

اديل ــ كم تبلغ من العمر يا فتى ؟

اندريه ــ انا في ربيعي العشرين ..

اديل ــ ولا عمل لك الا السعي وراء النساء ؟ ..

اندريه ــ انهن عرائس شعري وبدونهن تجف عبقريتي واذبل واموت .

اديل ــ مسكين ..

اندريه ــ بل مسكينة هي المرأة التي لا تحبني .. انها تفقد ولا ريب عالما عظيما .

اديل ــ انت شديد الكبرياء ..

اندريه ــ اني اصيل في العبقرية .

اديل ــ صه .. اسمع الباب الخارجي يفتح .. تعال وادخل حالا .. عد .. عد الى المطبخ .. « ينسل اندريه ويخرج » .

المشهد الثامن

اديل ــ انطونيا

انطونيا تدخل مهتاجة وثائرة ــ اللعنة على فرانسوا ! .. اللعنة على هذا الفيور البخيل!

انه لوغد !.. انه لسافل !.. انه لمتوحش ! .. تصوري ان الغيرة اعمته ، فثار علي ثورة هائلة لان صديقا لي اعترضنا في الطريق وحياني .. ثار علي ثم انصرف في وقاحة وهو يسبني . تخليت من اجله عن هنري واذا هو في استبداده وغيرته وطغيانه شر الف مرة من هنري .. ان الرجال مجانين .. كلهم مجانين . لا يريدون ان يفهموا ان المرأة متى اشتريت بالمال فهي لا يمكن ان تعطي الا على قدر المال ..

اديل ـ واذن فقد انصرف هنري وانصرف فرانسوا ؟ ...

انطونيا ـ لا تحزني ... كلاهما عاشق وكلاهما شهواني ، وكلاهما ضعيف .. وسيعود كل منهما صاغرا ، وسيقبل كل منهما موطىء قدمي ... وعندئذ سأعرف كيف أؤدبهما وانتقم منهما ، واجعلهما لعبة في يدي ، او خاتما في اصبعي ، او حذاء في قدمي ...

اديل ـ طيبي نفسا واهدئي .. الحياة جميلة ، والشاعر هنا ... ادخل .. ادخل يا مسيو اندريه .. « يدخل اندريه منكمشا ومضطربا ثم يتمالك نفسه ويتقدم صوب انطونيا في عزة وثبات . فتبتسم اديل ابتسامة مشفقة متهكمة وتسرع بالخروج » .

المشهد التاسع

مذكوران

انطونيا ـ كيف اجترأت على دخول بيتي بدون اذني ايها الفتى ؟

اندريه ـ استأذنت الحب فاذن لي .

انطونيا ـ انت والحب والشعر ، سأطردكم جميعا ...

اندريه ـ والهواء يا سيدتي ؟ .. أفي وسعك ان تغلقي النوافذ ؟ .. انك لو طردتني من الباب فسأثب من النافذة ..

انطونيا ـ ولو اغلقت النافذة ؟ ..

اندريه ـ انقطع الهواء واختنقت صاحبة البيت ..

انطونيا ـ انت ظريف وجميل .. ولقد اعجبني في شعرك صدقه وحرارته وحلو رنينه ..

اندريه ـ انت التي اوحيته .. انت الجمال والسحر ، انت البراءة والطهر ... انت فسحة الدنيا وانت اعماق البحر ... منذ عرفتك في بيت ذلك الرسام صديقي وعيني المتقرحة لم تذق طعم النوم ..

انطونيا ـ واذا رأيت رجالا اخرين يعجبون بي ، فماذا انت صانع .. هل تستبد بك الغيرة فتثور انت ايضا وتجحد فضلي وتتنكر لي ؟ ..

اندريه ـ خلق الجمال فتنة للناس جميعا ، وليس مثلي من الحماقة بحيث يحول بين الناس وبين التمتع به ..

انطونيا ـ هذا كلام عظيم .. كلام يدل على عقل وحكمة .. انت تروق لي يا اندريه . شعرك بديع وشبابك ابدع .. فتعال .. ادن مني .. اجلس بجانبي .. هنا ..

« وتميل اليه وتوشك ان تعانقه ولكنها تسمع صوتا منبعثا من الخارج ، فتنهض لفورها وتصيح بالشاب » عد الى المطبخ .. عد الى المطبخ حالا .. وانتظرني هناك .. « ويخرج اندريه فتفتح انطونيا باب الصدر فتبصر نفسها امام صديقها الاول هنري وجها لوجه » .

المشهد العاشر

مذكوران

انطونيا مغتبطة وهي تتمالك نفسها لتخفي سرورها وتتظاهر بالغضب ـ انت ؟! .. ماذا تريد ؟ .. ماذا جئت تفعل ؟ .. ألم تصلك رسالتي ؟ .

هنري ـ كيف طاوعك قلبك على كتابة تلك الرسالة ؟ ... أأنا استحق ذلك منك يا انطونيا ؟ .. ان عباراتك القاسية النابية سامتني شر ضروب العذاب .. حرام .. حرام عليك .

انطونيا ـ انت المسئول لا انا ..

هنري ـ ولكن ماذا فعلت ؟ .. واية جريمة ارتكبت ؟ ..

انطونيا ـ اذا كنت تعتقد انك بريء فأولى بك أن ترحل .

هنري ـ امصرة انت على اعتباري مذنبا ؟

انطونيا ـ وهل في هذا شك .. انا امرأة اكره الاستبداد والغيرة .. اكره التسلط والحيازة .. اريد ان اكون حرة في تصرفاتي لا رقيب علي غير ضميري .. فيجب ان تثق بي ، ان تطمئن الي ، أن ترحب باصدقائي ، ان تحترم نفسك وتخنق غيرتك وتصون كرامتك وتكتفي بما اعطيك ولا تسألني بعد ذلك عن شيء او تحاول التدخل في أي شيء .. هذه شروطي .. ففكر فيها وشاور عقلك . وإياك ان تظن اني قد اسعى اليك واتهافت على مالك واترامى تحت قدميك .. هناك عشرات من ابناء الذوات يتمنون الانفاق علي مع النزول على حكمي والخضوع لارادتي .. فاذهب .. اذهب وشاور عقلك .. ومتى ثبت الى رشدك عادت انطونيا فمنحتك من مفاتن الحب ومباهج الدنيا ما لا اظن انك قد نسيته يا هنري . « وتدنو منه فجأة ، وتتململ من موجة حر طارئة ، فتفك بعض ازرار ثوبها ، وتدع اطراف الثوب تتساقط عنها ، فينكشف صدرها الناهد الفض ، وتبرز ذراعها البضة المتألقة . فتلمع عينا هنري ، ويهرع اليها ، ويهم بأن يضمها . ولكنها تضحك وتتراجع وتومىء باصبعها الى الباب » .

انطونيا ـ اذهب .. اذهب وشاور عقلك .

هنري ـ لن اتخلى عنك ابدا .. سأطيعك في كل شيء .. سأمتثل لحظي .. سأكون اصم وابكم واعمى .. وعسى ان تقدري يوما عذابي وتشفقي علي وتفكري من تلقاء نفسك في ان تكوني لي وحدي . أمسرورة انت ؟ .. لقد اتفقنا . اليس كذلك ؟ .. اتفقنا وانتهى كل شيء .

انطونيا ـ لا .. لم نتفق بعد .. انا لست امرأة مترخصة وشائعة ، كما انك لست رجلا يعبث بالكلمة وينكث العهد .. لن تظفر مني حتى ولا بقبلة الا بعد ان تفي بوعدك وتجيئني ببوليصة التأمين ..

هنري يبرز من جيبه ورقة ـ هذه هي البوليصة !..

انطونيا تندفع وتختطفها ثم تنظر فيها وترسل صيحة مدوية وهي تعانق هنري ـ يا حبيبي ! « وفي تلك اللحظة يسمع من الخارج صوت فرانسوا فتختلج انطونيا وتومض في عينيها ابتسامة وحشية وخبيثة . وتسرع الى باب الصدر حيث يبدو فرانسوا وتقف بعتبة الباب ، منصوبة القامة ، مرفوعة الرأس ، شامخة متحفزة متحدية » .

المشهد الحادي عشر

مذكوران ـ فرانسوا

انطونيا لفرانسوا ـ لن تدخل .. لن تدخل هذا البيت ابدا .. اني اكرهك ، اكرهك .. اتظن اني غسالة او بوابة او بائعة سمك او من نفايات الازقة والدروب كي تمتهنني في عرض الطريق ، تحقرني على ملأ من الناس ؟ .. انا اشرف من اية امرأة يمكن ان تتزوجها ! .. لن تدخل بيتي ! .. اذهب ! ..

فرانسوا يدفعها في رفق ويدخل فيبصر هنري ـ آه .. انه هنا ؟ .. لقد عاد ؟ ..

انطونيا ـ عاد بعد ان تأدب وتعقل واعتذر فصفحت عنه . اما انت فلن اصفح عنك ابدا . اذهب ..

فرانسوا يخرج من جيبه محفظة نقوده ، وفي صوت جهير وقد عز عليه ان يطرد امام غريمه وان يتفوق عليه هذا الغريم ويسلبه المرأة التي يحبها ـ تكرمي ، تكرمي يا انطونيا بقبول هذه الهدية المتواضعة مشفوعة بخالص اعتذاراتي ... خمسين الف فرنك .

انطونيا تصرخ مترفعة وهي ترمق الاوراق المالية بعينين متلهفتين ـ الن تكف ابدا عن اهانتي ؟ .. امثلي تشترى بالمال ؟ .. رد

الزهر مفرط في ضياء

★

حتى الحنين
اليوم لا اقوى عليه ، فأي شيء تبتغين ؟
أنا ذلك القمر الشتائي الحزين
صندوق ذكرى مهمل . صدأت بزخرفه السنين
أنا ذلك الصفصاف تهرمه الفصول فيستلين
لا ظل لا حلوى سوى
عش تعلق حين جف الغصن حين

أوتذكرين ، اتكتبين ؟
الشعر كالدنيا ضنين
يمتص حتى النبض لكن لا يلين

ما زلت حتى باسم طيرك تجهدين
اكبرت يا ريا فما اقسى السنين !
وانا البعيد ، وانت يوما بعد يوم تكبرين

يا دورة الزمن انتظار
يا صبح قف . يا ليل قف
دعني اراها وهي تكبر كل حين
دعني أرى قاموسها اليومي ينضج كالثمار
أنمو نمو البرعم المتجدد
معها .. واكبر .. كم ساصغر كل حين !

لندن — صلاح النيازي

نقودك الى جيبك واقترب مني .. ارهف السمع جيدا .. ليس المال هو غايتي بل الحياة .. الحياة الحرة .. الحياة الطليقة .. الحياة الوادعة الناعمة الرغدة السعيدة في صحبة اصدقاء لا يعرفون الغيرة ولا التسلط ولا الاستبداد ، اصدقاء متزنين ومتفاهمين ومنسجمين وعقلاء ، يحبونني واحبهم ، ويملأون الجو حولي بهجة وسرورا هذا ما انشده .. فاذا صادفت هذه الحياة من نفسك هوى ، واردت ان تندمج فيهاوتنعم بها ، فلا تكن غيورا وتقدم .. اولا وقبل كل شيء وصافح هذا الرجل .. صافح هنري ووطن العزم على ان تراه هنا في اي وقت وفي اية لحظة ، وترى غيره ايضا .. تقدم اذا كنت حقا قد ارعويت وتعلقت ..

« فرنسوا يتراجع مشمئزا وقد انعقد لسانه حيرة وخجلا ثم يستجمع قواه ويهم بالخروج . ولكنه يشعر انه لو فعل فسيفقد المرأة الى الابد . فيتردد ويتلكأ . فينهض هنري ، ويدنو منه ، ويربت على كتفه وهو يبسط اليه يده » .

هنري ـ هون عليك يا عزيزي .. اية فائدة من التصلب والتعنت .. انها هكذا ... ويجب ان نطيعها .. يجب ان نقبلها على علاتها .. ومن يدري فقد تتغلب انت في غد علي ، وقد تحبك انطونيا غدا وتطردني انا .. فاجلس ولا تحزن .. ولنكن اصدقاء .. هات يدك ... « فرانسوا يصافحه وهو جامد ذاهل » .

انطونيا هاتفة ـ هكذا اريد ان اراكما ! .. هكذا احب ان يكون اصدقائي ! .. « وتميل الى فرانسوا وتلاطف خده بأناملها » لعلك لم تنس هديتك .. الخمسين الف فرنك .. ما شككت لحظة في انك لا بد ان تخرج على مألوف طبعك ، وانك مثال الكرم والسخاء .

فرانسوا محرجا ـ هذه هي ...

« ويقدم أليها المبلغ » .

انطونيا ترتمي على الاوراق المالية ملهوفة ، وتعانق فرانسوا في شغف ـ يا حبيبي ! .. « ثم تصيح بأعلى صوتها » اديل ... هات شرابا .. واذا كان الشاعر الظريف المسيو اندريه دي لاتور قد وصل فادخليه الى هنا ... من باب الصدر ... « فيبهت هنري وفرانسوا ويتبادلان النظر . وعندئذ يدخل الشاعر الفتى . فما أن يرى الرجلين حتى يجفل ويرتبك ويتراجع » .

انطونيا ـ لا تضطرب يا فتى .. انت تعرف السيدين ولا شك ./. فاجلس .. اجلس بينهما .. اجلسوا انتم الثلاثة .. اجلسوا يا اصحابي .. كم انا سعيدة بان اراكم عقلاء وطيعين ومتفاهمين ومنسجمين ... الشراب يا اديل .. « وتدخل اديل حاملة صينية ، عليها زجاجة وبعض اكواب . فتصب انطونيا الشراب في الاكواب وتقدمها للجميع » .

انطونيا لفرانسوا وهي ترفع كوبها ـ في صحة عمك ! ..

الشاعر ـ في صحة الحسناء الفاتنة الطاهرة انطونيا عروس الالهام والشعر ..

أديل على حدة ـ يا لها من فاجرة وداهية! ... لقد وفقت بين الثلاثة ، وجمعتهم ، واخمدت غيرتهم واخضعتهم صاغرين لسلطانها ! ... « وتلعب الخمر برؤوس الرجال ، فيضجون ويمرحون ويطلبون ايضا خمرا . فتسرع انطونيا وتلحق بأديل، وتهمس في اذنها ... هات الان من الخمر الرخيصة، الخمر الرخيصة .. اتفهمين ؟ ..

ثم تكر راجعة ، وتنظر الى الرجال في احتقار عميق مشوب بالتهكم والسخرية ثم تقول وهي تختلج وتتشفى :

ـ الحمقى المغفلون يؤخذون هكذا ! ...

ثم يشرق محياها فترتمي في غمرتهم وهي تقهقه .

مصر الجديدة — ابراهيم المصري

بين التضمين والرمز

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

عندما يستعمل الاديب، او الشاعر اسماء الاعلام المختلفة، من ابطال ، او رجال مجتمع ، او اقاليم ، او مدن ، ليس من الضروري ان يكون (السرد) لاخبارها ، او لنبذ عن خصالها مقوما لنصه الادبي ، او اسلوبه .. ذلك ان الاديب ، وخاصة الشاعر يستعين في كثير من الاحيان بهذه الاعلام ، لما توحيه فعالها ، وخصالها ، يدعم به تعبيره ، وتلقينه ..

و (التضمين) حقا ، كما شرحنا ذلك (١) يشترط توفر السرد لحدث وقع فعلا لعلم من الاعلام ، ولكن كثيرا ما يرد ذكر هذه الاسماء في تقرير عادي ، او تشبيه ، او تمثيل ، وهذا الذكر ليس تضمينا .. واذن لا بد من لفت الانتباه الى انه في احوال استعمال (الافعال) الدالة على حدث وقع في التضمين ، ان مجرد الاستعانة بأسماء الاعلام ، او ببعض فعالهم وخصالهم من اجل التشبيه ، او التمثيل ، مثل مجرد الاشارة الى الموضوعات المتعلقة بهم (٢) ، وبسيرتهم من ادوات او حاجيات ، هو خطوة نحو الرمز ، والرمزية ، لانه خطوة نحو المعنوي ، والمجرب ، وعلى الخصوص اذا لم يتوفر السرد التلميحي الصحيح الصريح لحدث وقع فعلا .

لنضرب على ذلك مثلا شخصية (شهرزاد) ، انها انثى حكيمة من التاريخ الشرقي ، ولها فعال ، وخصال ، هذه الشخصية مع تعاقب الشهرة ، والتمثيل صارت (رمزا) لحكمة المرأة ، ودهائها ، كما ان لياليها، ومخدعها، وحكاياها ، وهي موضوعات من سيرتها ، صارت رموزا للصبر على التعسف ، والمداراة للظلم ، وهكذا دواليك ..

وكذلك هي الحال مع اية شخصية كبرى اخرى ، وموضوعاتها ، مثل : تموز ودمه ، وأوزيريس وتابوته ، وموسى وعصاه ، والسندباد واسفاره ، وشهريار وخنجره ، ونيرون وحرائقه ، وعنترة وكره ، وقيس وليلاه ، وغير ذلك .. هذه الشخصيات هي من ذاتها تحمل مدلولات معنوية ، وتستعمل لهذه المدلولات المعنوية ترمز حالات معنوية يريد الشاعر تلقينها ...

ان استعمالها في هذه الاحوال المعنوية التلقينية استعمال رمزي ، حتى انه لو سردنا عنها ، فالتضمين السردي الصريح التلميح الذي يسرد وقتها شيئا من فعالها يكون مشوبا بظلال المعنوية الرمزية ، حسب التعريف (٣) .. لنقل ، بعبارة اخرى ، ان استعمال هذه الاسماء الاعلام ، او الموضوعات المتعلقة بها ، عندما يكون لمدلول معنوي ، من مدلولاتها المعنوية ، فالاستعمال للتو ، يدخل في دائرة الرمز ، والرمزية ..

وقد رأينا ان (الاضافة) في استعمال اسماء الاعلام ، كما في قولنا ، شهرزاد الحكايا ، او ذراع السندباد (٤) ، لا تحتم قيام (التضمين) ، والذي بدوره يستوجب السرد لحدث وقع ، وذلك من حيث ان الاضافة ترفع العلمية والتاريخية عن هذه الاعلام ، لتدخلها في دائرة الرمز والرمزية ، وتطبعها بطابع المسار النفسي التلقيني للشاعر ، وهنا في بلاغة استعمال (الافعال) الدالة على حدث وقع في التضمين ، لا بد من تبين مقوم السرد في التلميح ، فاذا لم يتوفر ذلك ، ولم يلمح الى سرد وقع فعلا ، ظللنا في مسار نفسي تلقيني لسرد متخيل ، او متوهم ، وبالتالي اضطررنا الى تحوير تلقيني يخرجنا من التضمين ، لندخل للتو في الرمز ، والرمزية ..

ذلك ان من الشعراء من يستعمل هذه الاسماء الاعلام ، وما يتعلق بها ، في سياق تعبيرهم عن تجربتهم الذاتية الشخصية، وليس ليضمنوا اخبارا قديمة وقعت، وهذا الاسلوب شائع جدا اليوم في الشعر الحديث ، انه بالاحرى رمزية ، وليس تضمينا سرديا .. والمسألة اذن ، كما في تعريف الرمز والتضمين (٥) ، ترجع الى الموضوعية ، والذاتية : ان التضمين السردي يستلزم (الموضوعية) ، وايضا التاريخية ، والعلمية في الاساس ، في حين الرمز ، والصور الرمزية من تشبيه رمزي ، او استعارة رمزية ، او تمثيل رمزي ، او مثل رمزي ايضا ، فهي بالاحرى ذاتية استبطانية توحي بالمدلولات المعنوية ، من خلف الرموز الحسية ..

فمثلا ، عندما يقول الشاعر « محمد الفيتوري » :

ويطل يسوع
الثلج يغطي بردته البيضاء
ويموج الهيكل بالاضواء
ـ ها أنت أتيت
غريبا يقطر وجهك حزنا حيث مشيت ..
مسيرة الفي عام
ويغيب يسوع ..

التمثيل هنا رمزي ، لمدلولات انسانية ، يجسدها يسوع ، والتعبير رمزي ، لا تضمين فيه ، رغم انه يستنطق هنا الرمز ، ويحاوره ..

وفي قول الشاعر « الياس الفاضل » :

أيتها الكلمات ، صيري احجارا وبنادق
صيري خطايا ، ومثالب ،
واطلعي طوفانا ، ونوحا جديدا ..

ان استعمال اسم العلم في هذا المثال : نوح جديد ، وما يتعلق به من طوفان ، لا تضمين فيه ، وانما هو مجرد

تنشيط للخيال ، والوجدان بواسطة الشهرة والعلمية . **أي استعمال (رمزي) في مدلولات معنوية ، تفسرها** أمنية الشاعر الفاضل ان تكون كلماته خطايا ومثالب ، **وايضا طوفانا مطهرا ، ونوحا جديدا ..**

لنستمع الى قول الشاعر « خليل خوري » :

قامت بابل ، سقطت بابل
سقطت بابل ، قامت بابل
والى ابد بضمر ، سنظل نشيد لنا بابل
سنظل نذيب النيلوفر
ونريق الايمان الاحمر
لكن عبثا نغزو سر الشمس ..

الشاعر هذا يلجأ الى المثل الرمزي ، بدليل انه يقرن **عملية الاشادة لبابل بتجربتنا الذاتية ، ثم عجزنا عن غزو** سر الشمس .. التعبير هنا لا تضمين فيه ، وهو **بالاحرى ، من صور الرمزية الشعرية ..**

وكذلك عندما يقول الشاعر « عبدالوهاب البياتي » :

بابل لم تبعث ولم يظهر على أسوارها المبشر الانسان
ولم يدمرها ولم يفسل خطايا اهلها الطوفان
ولم يقم من قبره عبر الفرات سارق النيران ..

تعبير (بابل) هنا في سياق الاسلوب كله ، لا يحيل الى تاريخية او موضوعية ، **وانما هو تعبير رمزي ، في شتى هذه الاوصاف ، لمدلولات معنوية تلقينية ..**

لنلاحظ اذن ان استعمال الاسماء (الاعلام) ، والموضوعات المتعلقة بها يتأرجح بين التاريخية الموضوعية ، وبين الذاتية الشخصية عند الشاعر الواحد ، وان **استعمال (الافعال) الدالة على حدث وقع** ، او التي توحي بخصلة من خصال علم من الاعلام هو نفسه يتحور عن موضوعيته ، حسب المسار النفسي التلقيني للشاعر الواحد ..

ومن هنا نجد ان الرمزية في النص الواحد يوجدها سياق التعبير عن التجربة الشعرية بواسطة (افعال) توحي بالذاتي والشخصي ، وتحور ايضا التاريخي والموضوعي ، حتى تذهب في بعض الاحيان بالعلمية ، وموضوعيتها القديمة ..

يقول الشاعر « **علي كنعان** » :

رحمة بي يا مسيحي
فاتني ، بل لم يكن لي (**فلك نوح**)
مد لي كفك
فالطوفان يرغي حول روحي ..

قطعا ، الاضافة في (فلك نوح) ، كما شرحنا ذلك (٦) ، رفعت العلمية عن هذا الاسم العلم لتدخل التعبير في دائرة الرمز والرمزية ، ومع ذلك (الافعال) هنا لا تدل على حدث وقع في التاريخ ، وانما توحي بأحوال نفسية معنوية .. الذاتية هنا واضحة ، والطوفان نفسه رمز لاستبطان نفسي مباشر ..

يقول الشاعر « الياس الفاضل » :

الارض بور ونحن نرش البذار على الصخور
وأمضي ، وتمضي معي ذكرياتي ..
مطرا يتساقط على جبيني ..
وأنا عار ، ارتجف من البرد
وعلى بقايا روحي يفسل (بيلاطس) يديه ..

اتجاه المسار النفسي الفني في هذا المثال اتجاه ذاتي بوحي ، ولذلك لا عجب ان يكون استعمال (الفعل) **الدال على حدث وقع لبيلاطس ، وهو غسل اليدين رمزا** للبراءة ، ظل هو نفسه رمزيا ، بفعل الوصف الذاتي **المطرد في تصوير مواجهة الذات للوجود والواقع .. ولا تضمين في هذا المثال** ، وانما استعارة مكنية رمزية توحي بمدلولات معنوية من معاناة ذاتية شاملة لتجربة (البراءة) ..

ولنضرب ، الان ، أمثلة على استعمال (الافعال) **الدالة على حدث وقع ، في التضمين السردي** ، يقول (فرج مكسيم) :

حضارة الانسان مثل الشمس لا تموت
قد حاول التتار ذات يوم خنقها
فاحترقوا في سرها العظيم
وانتصرت **حضارة الانسان ..**

ان تراكيب (حاول التتار خنق الحضارة ... واحترقوا في سرها) .. ابسط التراكيب الواضحة عن تضمين افعال أقوام من الغزاة الفاتحين جنوا على الحضارة في بغداد ، وابيدوا وبقيت بغداد ، وبقيت الحضارة .. التلميح هنا حقا غير مفصل ، وغير معين ، ولكنه مفيد ومعبر ويوحي بالعظة ..

يقول الشاعر « موريس قبق » :

مولوخ معبود الشهوة ..
محصول عبادات الاجساد ديانات الجنس العاهر
يتعرى .. يبرز اردافا لسعتها اسواط النزوة
يغزو غابات يتحرى احواض صديد ويكابر
لا ايا كان ..

ثم يقول اثر ذلك :

وكان ان تدلهت فينوس
آلهة الجمال حتى بانهدال الثوب والتعري

---

(١) ـ راجع عدد فبراير ١٩٦٩ من (الاديب) الفراء والاعداد التي يحيل اليها في عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ . (٢) ـ مثلما يمكن اعتبار الاعلام المشهورة رموزا لمدلولات معنوية ، فان الموضوعات المتعلقة بها ، وحاجياتها يمكن اعتبارها رموزا لمدلولات معنوية ايضا .. (٣) ـ ذكرنا في الاعداد السابقة في تعريف (الرمز) استلزامه مستويين مغاير احدهما للاخر ، احدهما حسي ، والاخر معنوي يقرن الرمز بصورته الحسية بينهما .. (٤) ـ راجع عدد ابريل ١٩٦٩ من (الاديب) الفراء . (٥) راجع الاعداد السابقة المنوه عنها فوق في «١» و «٣» . (٦) ـ راجع عدد ابريل ١٩٦٩ من « الاديب » الفراء .

امــي

روحية القليني

* * *

من ذا سيؤنس وحدتــي من بعد فرقتك السريعــه
ويضمنــي بالساعديـــن بنظـرة الام الوديعـــه
ويهـدهـد القلـب الحزيـن كانني تلـك الرضيعه
مـن ذا سينزع مــن خيالي ليلـة المـوت المريعـه
يـوم اسـترد اللـــه جـل جلالـه اغلـى وديعـه
كـم مـن ليال حالكـات كنت فـي ليلـي شموعه
ردي اهنـت عليـك يـا امـي فآثـرت القطيعـه

ودخلـت حجرتـك الحبيبة علنـي احظى بكلمـه
لـم الـق الا وحشـة لم الـق فيهـا غير ظلمـه

بينما زيوس لا يني يحتبل الطهاره
يفترس النساء في سواحل الدعاره
ويقلع الصاري العتيق يولج الجديد
في مرافىء تضج **باليخوت ..**

السرد عن الخصال ، او للفعال في هذا المثال واضح عن هذه الالهة الوثنية ، مولوخ اله الجنس في صور ، ثم فينوس آلهة الجمال ، وزيوس اله النور .. وهــذا الاسلوب يؤلف في مجموعه ، صورة بلاغية اسلوبية عند الغربيين تسمى (الاسطورة) ..

وتركيب (تدلهت فينوس لتعري مولوخ ..) يوحي حقا بشيء من المشاركة الذاتية ، والتعميم الرمزي ، ولكن يظل السرد اسطوريا يتضمن الفعال والخصال القديمة ، وهو تضمين صريح ، ولذلك اقترح تسميته بـ (التضمين الاسطوري) ، وهو شائع جدا اليوم في الشعر العربــي الحديث ، ويعتمد على السرد الاسطوري الصريح ..

يقول الشاعر « عبد الوهاب البياتي » ، في حــب فــاشـــل :

عندما معجزة القديس لم تنفع ، ولم ينفع عويــل الساحرات
بعد ان سرنا وسار النهر في جثة (تموز) الـــى البحـر البعيد
عــاد يطفو من جديــد
حاملا تاجا من الليلك والعشب وازهار جبال المستحيل
وعلى تابوته النهري طارت بجعة، كادت وهمت بالرحيل
وعلى الشطآن أضواء قناديل الربيع
وعويــل الكهنــة
تحت اقواس رماد الازمنة
وهم يبكون (تموز) القتيل
حاملين القمر الميت في موكب (عشتار) الجليل
آه من ليــل المحبين الطويل ..

ويعود يكرر نفس المعاني تقريبا بأسلوب تقريــري صريــح ، فيقــول :

.. فلماذا خذلتنا يا الهي الكلمات
عندما معجزة القديس لم تنفع ولم تنقذ هوانا الصلوات
وعويــل الســاحــرات ،
وهي في المذبح بعد العاصفة
تتمدى في عيوني خائفــة
ام نقــل شيئا وسار النهر للبحر البعيد
وافترقنــا ، والتقينــا
وابتدأنــا مــن جديــد !! ..

ان (التضمين الاسطوري) واضح جدا في القسم الاول من هذا المثال ، وهو نفسي رمزي ، ويقوم علــى سرد (اسطورة) تموز الحب والحياة ، وموته ، وجريان دمه في النهر الى البحر ، ثم عودة الربيع الى الشطآن وغــير ذلــك ..

وقد تعاطف الشاعر البياتــي مع احــداث هـــذه الاسطورة ، وجعلها رمزا للفشل في الحب ثم العودة الى شاطىء الابتداء من جديد ، والقسم الثاني التقريــري صريح التعبير في ذلك .. وفي الاعداد القادمة نتابع جرد احوال التضمين ، واحكامها ..

دمشق **عدنان بن ذريل**

وبقيـة مـن عطر روحك هدهدت في القلب همـه
فسألتها ايـن الحبيبة هل قضـت دينـا وذمـه
قالـت اجـل بعـد الصلاة وقد قضت لله صومه
راحت بشـهر الصوم والدعوات للرحمن حكمـه
راحت اعز علي من نفسي قضـى الخـلاق حكمـه

وعـدت كذكـرى في القلـوب ونعم ذكراها النقيه
من بعـد ان مـلأت حياتـي بالاغاريـد الشجيـه
بـل قصـة قـد سجلت بالنـور ايامـا وضيـه
قـد علمـت ابناءهـا وبناتهـا الـروح الابيـه
سهرت عليهـم بالدمـوع والابتسامات السـخيه
بذلـت لهم مـن غـيرة من عمرها الغالي هديـه
لاقت جـلال المـوت في زهد مـن الدنيا رضيـه
وعلى الوسادة دمعتـان تعـبران عـن الوصيـه
الا ننـوح ونذكـر الام التـي راحـت تقيـه

قـد اقبـل العيـد السعيد ولست يا امـي سعيده
والكـل يرفـل بالسـعادة والامـانـي الرغيـده
لكـن فراقـك هدنـي واحالني حـيرى شريـده
قدري يعاندنـي وعطفـك في حياتي لـن يعيـده
هل في الورى قلب كقلـب الام ، احـلام بعيـده
انـا في الوجود بـلا وجودك دائما حـيرى وحيده
حتى الدموع تحجرت من لوعتي وغـدت عنيـده
حتـى التصبر خانـي والصبر لا القـى وجـوده

كم كنت اهـوى البيت اسرع نحـوه حتى اراهـا
في كل ركـن كان دفء حنانها وسـنا سـناهـا
في كل شبر كان نبع عطـائهـا ونـدى نداهـا
اعبـاء يومـي كلهـا كـم هدهدتهـا راحتاهـا
وبدمع عينـي ثرة بالعطف كـم مسحت يداهـا
انـا لا اطيـق البيـت ادخلـه ولا القى بهاهـا
لتمـد لـي يدهـا اقبلهـا والثـم بعد فاهـا
يا قبر لـم ترحـم وليس بوحدتـي قلـب سواها
لـو أن هـذا القبـر ذاق البيـن ,وما ما طـواهـا

في اضلعـي ذكرى فراقـك يا حبيبـة كالحريـق
يا رب كيف اعيش دون حنانهـا انـا لا اطيـق
يا كل شـيء في حياتي قد ضللت هدى الطريـق
من بعـد أن فارقتني وتركـت بنتـك كالغريـق
من غير ان توصـي بهـا وبشانها القلب الرقيـق
ومـع الامومـة يا حبيبة كنت لي نعـم الصديـق
سـاظل اشرب مـر كـاس مـن اسـاه لا افيق
سـاظل حتى نلتقـي ويضمني القلـب الشفيـق

مصر الجديدة روحية القليني



كمال رستم

اضواء على الرواية الجديدة

بقلم لوران لوساج

عرض وتلخيص : كمال رستم

* * *

يفرغ القارىء من قراءة رواية من الروايات التي يطلق عليها اسم « الرواية الجديدة » فلا يملك نفسه من التساؤل : ما الذي خرجت به من هذه الرحلة الشاقة التي قطعتها مع المؤلف ؟ ان هذا التساؤل يلح على كل قارىء لهذه الروايات .. انه في حاجة لان يعاود القراءة من جديد .. انه هنا امام شيء جديد يكتنفه الغموض من كل جانب ، حتى بطل الرواية يرمز اليه بالحرف الاول من اسمه لان المؤلف يحرص على ان تظل شخصية البطل مجهولة .

ان مؤلف الرواية الجديدة ليس مؤلفا عاديا لسبب بسيط ، وهو ان قارىء اليوم لم يعد قارئا عاديا .. انه قارىء ذكي لماح فيجب ان نقدم اليه اعمالا في مستوى ذكائه ولماحته .. اعمالا تتجاوز المألوف لديه من اعمال بلزاك وفلوبير الى اعمال في مستوى أعمال كافكا وجيمس جويس وبروست وفوكنر .. باختصار نقدم اليه الرواية الجديدة le nouveau roman فما هي هذه الرواية التي أثارت ولا تزال كل هذه الضجة في الاوساط الادبية، وما تاريخها وما هدفها وما هي أهم خصائصها ؟ يجيب عن هذه الاسئلة كلها لوران لوساج Laurent Le Sage في دراسته القيمة التي قدم بها لاعلام الرواية الجديدة في كتابه الذي أطلق عليه اسم « الرواية الفرنسية الجديدة » ونحن ننقل للقارىء اهم النقاط التي تضمنتها هذه الدراسة الجادة .

تاريخ الحركة واعلان اهدافها :

ظهرت الرواية الجديدة لاول مرة في منتصف الخمسينات من هذا القرن واستطارت شهرتها بعد ذلك باعتبارها ظاهرة طليعية حتى اضطر الاتحاد العالمي للدراسات الفرنسية في اجتماعه السنوي سنة ١٩٦١ الى ان يضع الرواية الجديدة في برنامجه واقبل الادباء من جميع انحاء العالم ليناقشوا الاتجاهات الحديثة مع ميشيل بيتور وبيرنار بينجو ، ولا شك ان ظهور قصة المساحات « الاساتيك » في سنة ١٩٥٣ لآلان روب جريبه كان علامة بداية هذه الحركة التي استرعت انتباه النقاد الى كاتبها العالم الشاب ، وبالرغم من انهم لمسوا فيها صدى كافكا وسيمينون وجراهام جرين فقد اتفقوا على ان الاهتمام غير العادي بالاشياء وتجاوز الاخلاقيات والعلاج الفذ للزمن ، كل اولئك ميز العمل الجديد من الاعمال الاخرى .

ولقد تحدث روب جريبه نفسه عن اصالة عمله فقال انه الف رواية دون ان يلجأ الى حيلة علم النفس في عرض شخوص رواياته ودفع العقدة وان روايته رواية وصفية علمية ، وبالرغم من أن روب جريبه يؤكد انه يكتب أولا ثم « ينظر » اي يضع النظرية بعد ذلك ، فان اصالة قصته تعتمد اساسا على معنى جمالي من نوع خاص من المؤكد انه لم يأت عرضا ، واكثر من ذلك ان روايته تتضمن احكاما فلسفية محددة كما يظهر فيها اثر قول جان بول سارتر : ان العمل الروائي يؤسس دائما على الموقف الميتافيزيقي للمؤلف ، وقد أولى رولان بارثيس المتحدث الرسمي باسم روب جريبه المضامين الفلسفية «للمساحات» اهتماما كبيرا وذلك في مقال له ظهر في عدد شهر يوليو سنة ١٩٥٤ من مجلة « الكريتيك » وقال ان الاشياء التي لا تتناسب مع مغزاها العادي في الرواية لا دلالة لها ابدا وهي ليست ذاتية كما انها لم تستعمل ابدا استعمالا استعاريا . ان « المساحات » في رايه هي قصة رجل يمشي في المدينة لا افق له الا المنظر ولا قوة له الا قوة ناظريه ، « ففي هذا العالم الذي يعتمد اساسا على رؤية الشخص يظهر الزمان والمكان متغيران اما الداخلية » بكل تعبيراتها فقد قضى عليها تماما . وانتهى بارثيس الى القول بأن هذه الرواية بموضوعيتها التامة احضرت الفن القصصي الى خط فن التصوير المعاصر والسينما .

ومن ناحية اخرى يرى روب جريبه اننا يجب الا ننظر الى ظاهر الاشياء كقناع للحقيقة بل باعتباره الحقيقة

الوحيدة التي يمكن ادراكها . والعالم ليس ذا معنى ولا هو عبث .. انه ما هو . ان الاشياء هناك ومن الخطأ ان ننشر أنفسنا عليها او ان نشخص الطبيعة كما نفعل دائما .. ان قصاص اليوم يجب ان يقصر نفسه على وصف وقياس وتحديد الاشياء كما تظهر له ولهذه الغاية يجب ان نضع تكتيكا جديدا ولغة جديدة .

ولقد اثارت اقوال روب جرييه هذه ثائرة النقاد عليه ، فقد فند اندريه روسو وروبرت كيمب وفرانسوا مورياك نظريات روب جرييه وسخروا من « مناقشاته العملية » وقد أفاد روب جرييه من هذا الهجوم الذي لفت اليه انظار الجمهور واصبحت الرواية الجديدة موضوع الساعة ، وينافش النقاد من الخصوم والانصار الرواية الجديدة واعتبروا روب جرييه رائد الحركة الجديدة ينضوي تحت لوائه طائفة مختلفة من الكتاب أكثرهم جدد وغير معروفين . ومنذ اللحظة الاولى لظهور الحركة بدأ النقاد يبحثون عن اسم مناسب لها فسماها سارتر في مقدمته لرواية ناتالي ساروت «صورة مجهول» « الرواية المضادة » Anti roman بينما فضل نقاد كبنجيه Pinget وبيسيت Bessette ان يطلقوا على الحركة اسم حركة طليعية Avant - garde ورأى ناقد آخر هو جيتمان بيكون Gaetman Picon ان يسموا الحركة باسم الرواية التجريبية roman expérimental ورفض بيرنار بينجو اسم مدرسة النظرة Ecole du regard الذي اطلقه على الحركة ناقد آخر هو اميل هينريو لان هؤلاء الكتاب لا يوجد بينهم الا القليل المشترك الذي يجمعهم في مدرسة واحدة ، اما ناقد مجلة لوموند فقد فضل الاسم الذي اطلقه على الحركة رولان بارثيس وهو الادب الموضوعي Litterature objective أما موريس نادو فقد استعمل اسم الرواية الشابة jeune roman ووسع نطاق جماعة الشبان ليدخل فيها الكاتب المسرحي صمويل بيكيت والشاعر الجزائري كاتب ياسين وجاك كوسو وتحاشى تقرير نشر في عدد شهر فبراير سنة ١٩٥٨ من مجلة Arguments مشكلة الاسم باشاراته لها برواية اليوم roman d'aujourd'hui واعتمد التقارير اساسا على روب جرييه وميشيل بيتور وناتالي ساروت وان كانت قد وردت فيه اسماء جان كيرول وصمويل بيكيت وكلود سيمون ومارجريت دوراس أما مجلة Esprit فقد استعملت اسم الرواية الجديدة nouveau roman واوردت قائمة بالكتاب الذين يمثلونها وهم السبعة المذكورون بالاضافة الى كاتب ياسين وجان لاجروليه وروبير بينجيه ولا شك ان هذه القائمة غير ثابتة فان اسماء جديدة تضاف اليها كل سنة واحدث من انضم الى القائمة من الكتاب مارك سابورنا ، وجان ريكاردو ، ودانيل كاستبلان .

اثار روب جرييه اهتمام الجمهور بمحاضراته ومناقشاته التي أذيعت من الراديو ونشرت في الصحف والقيت من فوق منصات المحاضرات واشترك معه فيها كل من ناتالي ساروت وميشيل بيتور . هاهنا شرحت الرواية الجديدة ونوقشت واعلنت اهدافها . وفي عدد مجلة ريفي دي باري الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٩٦١ خاطب روب جرييه القراء من جديد مستعرضا اهداف مدرسته وتطلعاتها في لغة مباشرة سهلة ومعترضا على سوء التفسير الدائم لهذه الاهداف من جانب النقاد وبادر النقاد بالرد عليه وكان السؤال الذي يلح على أذهان النقاد هو : ما الذي يجمع كل هؤلاء الكتاب الجدد . ان ظهورهم معا دائما وقيام ناشر واحد بنشر مؤلفاتهم كل أولئك يوحي بجبهة متحدة الا ان هذه كلها عوامل خارجة وعارضة للوحدة ويجب ان يبحث عن الرابطة الحقيقية التي تجمعهم في اعمالهم ذاتها ، وهكذا اسرع بعض النقاد بعد ان لاحظوا الاختلافات الواضحة في كتابات هؤلاء الكتاب ـ الى الاتفاق مع روب جرييه على ان الروائيين الجدد اجتمعوا فقط على معارضة الرواية التقليدية او ما يطلقون عليه التقليد البلزاكي . هنا الاختلاف على ما يعترضون عليه فكلهم لا يحبذون التحليل النفسي في الرواية ولا الدراسات الاجتماعية ولا تأكيد الحكاية ولا الحيل التي تستهدف التسلية والهرب . ولكن هناك ايضا رابطة تربطهم وذلك في حبهم للرواية غير التقليدية كما يعرفها كافكا وجويس وبروست وفوكنر . هنا الرابطة الحقيقية والهامة فبالرغم من الاختلافات الفردية بين الكتاب الجدد فثمة تكنيكات اساسية معينة واهتمامات دائمة تكفي لان ينظر اليها كسمات مشتركة وتبرر النظر اليهم كمجموعة . هذه التكنيكات والاهتمامات امكن التماسها اولا في كتابات روب جرييه : معالجة جديدة لشخوص الرواية . اغفال السياق الزمني للاحداث . اعطاء أهمية للاشياء والمكان . استبدال النموذج pattern بالعقدة . علاج جديد للديالوج .

وواضح ان التكنيكات الجديدة ليست مجرد طرق جديدة لعرض المادة القديمة انها حيل للتعبير عن ادراك جديد للرواية وموقف فلسفي خاص . تهدف الرواية الجديدة اولا الى تحطيم القديم . فعند سارتر الرواية الجديدة هي الرواية المضادة وعند روب جرييه القاسم المشترك الوحيد للرواية الجديدة هو رفضها الرواية التقليدية وهكذا قاد حملة التحطيم كل من روب جرييه في الصحافة وناتالي ساروت في مقالها عصر الشك ولكن ما الهدف ؟ الهدف هو الرواية البلزاكية ، الرواية التقليدية الرواية المألوفة الرواية السيكولوجية كما لو كانت كل هذه التعبيرات تعني شيئا واحدا . ولكن النقاد يرون ان هجوم روب جرييه على بلزاك باعتباره ممثلا للرواية السيكولوجية هجوم لا أساس له فعندهم ان قائمة من الكتاب الفرنسيين تبتدئ بمدام دي لافاييت الى

بروست يمثلون الرواية السيكولوجية اكثر من تمثيل بلزاك لها ، هؤلاء هم بحق الروائيون السيكولوجيون ولكن علم النفس ليس هو ما يهدف الكتاب الجدد الى تحطيمه انهم يهدفون بالاكثر الى تحطيم التكنيك الادبي . فاعتراض الروائيين الجدد ينصب اساسا على تدخل المؤلف ومن ناحية اخرى يرى النقاد الامريكيون بنوع خاص ان كتاب الطليعة الفرنسيين يقعون في التناقض حين يوجهون هجومهم الى علم النفس لان علم النفس هو موضوع كتاباتهم ويؤيد هؤلاء النقاد وجهة نظرهم هذه بقولهم انه عندما يضع مؤلف امريكي كتابا عن الروائيين الذين يكتبون بالانجليزية الذين يسبقون المدرسة الفرنسية والذين يتخذون الشعور مجالا لهم (جيمس ، وولف ، ريتشاردسون ، جويس ، فوكنر) فانه يدعو كتاب الرواية السيكولوجية كذلك ما هي الرواية التقليدية التي اتخذوها غرضا لهجومهم : اهي الروايات التي تأتي على مثال روايات مدام دي لافاييت ام التي تأتي على مثال روايات بلزاك أم زولا ؟ في الحق لا يوجد نوع واحد من الروايات التقليدية وربما كان اسم الرواية المألوفة conventional هو افضل اسم لهدف هجومهم لانه يبدو ان ما يقر في اذهان هؤلاء الروائيين الجدد هو رواية التسلية التي تطورت خلال القرن العشرين وهي الرواية التي تجمع التكنيكات المستمدة من التقليد الواقعي والتكنيكات المستمدة من التقليد التحليلي .. هذه الروايات هي التي يرفضها الجيل الجديد من الروائيين باعتبارها صورة سطحية وزائفة للحياة ، ولكن الكتاب الجدد نظرا لرغبتهم الطامحة في ايجاد شيء جديد فانه لا يوجد في الماضي شيء يرضي طموحهم . ويرى النقاد ان هذا هو سبب غموضهم وعدم ملاءمة تعريفاتهم وهذا يؤدي بالتالي الى زيف تمثيلهم للرواية الفرنسية في القرن العشرين . فالروائيون الفرنسيون المعروفون بدأوا في وقت مبكر جدا من هذا القرن يرفضون تعريفات الرومانسيين والواقعيين فكتاب ما بين الحربين وقد استوعبوا المدركات الجديدة للحقيقة والشخصية وجهوا الرواية من بلزاك وستندال ومن تلاهم من الكتاب حتى اناتول فرانس وبول بورجيه ، ان روب جريبه الح على انفصال عنيف من الماضي ، ولكن الحقيقة ان الرواية الفرنسية كانت منذ عدة سنوات تتطور نحو الرواية الجديدة . ويؤخذ على روب جريبه وزملائه انهم يتحدثون دائما عن الكتاب الفرنسيين العظام في القرن العشرين باعتبارهم مجرد مقلدين لبلزاك وهم حتى يتجاهلون في نقاشاتهم كتابا يعتبرونهم الاباء الروحانيين لهم مثل جيمس وريتشاردسون وجوزيف كونراد .

فهنري جيمس وجوزيف كونراد حطما في الادب الانجليزي الرواية البسيطة المباشرة حين عرضا الحياة الذهنية لشخوص روايتهما وبذلك اخترعا تكنيكات مهدت للرواية الفرنسية الجديدة فاهتمام جيمس باعطاء وجهة النظر لا تقريرها ووضع كونراد الراوي في قلب الرواية ليفسرها وليحول مجراها كل ذلك كانت خطوات على طريق تطوير الرواية . وفي انجلترا ادركت فيرجينيا وولف قبل ناتالي ساروت الاعمال المتداعية القريبة للذهن وعدم استقرار الأنا كما خطا تيار الشعور على يد ريتشاردسون بالرواية خطوات ابعد بها عن تقاليد العصر الفيكتوري وقد كان هناك آخرون الى جانب فوكنر وجيمس في كتاب الطليعة الانجليز فالروائيون الفرنسيون الجدد يدينون بالسبق لهم . وان المرء ليتساءل أليس هو جان بول سارتر الذي اعترض على ان يكون المؤلف محيطا بكل شيء في الرواية وانه وجد مثلا فريدا على ذلك حينما اظهر كيف ان فوكنر في رواية « الصوت والغضب » عمل من خلال اذهان شخوص روايته ؟

والرواية عند ميشيل بيتور هي اداة للمعرفة . انها لم تعد بعد نزهة . الرواية هي اساسا وسيلة لادراك التجربة وهي تعتمد عنده على كل من الفلسفة والشعر .

من الواضح ان الكتابة عند كل الروائيين الجدد وسيلة للبحث عن الحقيقة وعن مركزهم في الحياة . ومن الخطأ اضفاء اي مضمون سياسي على أي من انتاجهم وهذا هو كلود سيمون يقول : ان الروائي هو انا غريب تماما عن السياسة « ويقرر روب جريبه عن نفسه وعن زملائه : ليس من الصواب ان ندعي اننا نخدم قضية سياسية في رواياتنا حتى وان كانت تبدو لنا قضية عادلة وحتى ان كنا في حياتنا السياسية نقاتل من اجل انتصارها » .

ان كتاب اليوم لا يعطون حلولا للمشاكل ولا توصيات . انهم ينظرون للحياة الداخلية بكل سلامة طوية العالم وبالرغم من انهم يتجاهلون تماما الالتزام الذي يقول به جان بول سارتر الا انهم فيما عدا ذلك تلاميذه المخلصون . ان سارتر هو الذي يقول بأن الاشياء وجدت قبل ان تكون شيئا ما وهو الذي رفض الكتاب الذين يلعبون دور « المبدع » في عالم منظم جدا (موورياك) والكتاب الذين يؤمنون بعالم شديد التنظيم (جيرودو) وادراك سارتر للشخصية ونظره للعالم يبدوان في كل اعمال الكتاب الجدد وسارتر هو الذي اوعز اليهم ان الرواية يمكن ان تكون وسيلة للكشف الفلسفي الخالص وان الوصف الامين غير المتحيز هو الاحرى بالاتباع وبالتالي فان هدف الكتاب الجدد هو الوصف فقط . الوصف الموضوعي والعلمي بقدر الامكان دون اغفال اي شيء .

واذا كانت الرواية الفرنسية قد وجهت نحو الميتافيزيقا قبل الرواية الجديدة واذا كانت الرواية الانجليزية قد استخدمت من قبل تكنيكات تيار الشعور ، الا ان تطوير هذه التكنيكات في خدمة الفلسفة هو في الحقيقة اضافة جديدة تعزى الى مدرسة الرواية الجديدة ، وقد أدى هذا التطوير الى تغييرات عميقة في كل اوجه الرواية .

القاهرة

كمال رستم

حنين واحلام وود مشوق

الى الشاعر الكبير الصديق القديم عادل الغضبان

أ (عادل) يا من فزت بالقلب والحب ... فديتك في بعدي وأفديك في قربي
نأيت وعندي من خيالي مبدع ... يصور في لمح من الطرف ما يسبي
فما هي الا لمعة الفكر كي أرى ... وجودك في عيني وشخصك في قلبي
كأني سحار وألهمت عزمة ... بها احضر الغياب من دون ما جذب
أكلمهم حتى كأني حيالهم ... ابدل مجنونا بدا فاقد الطب
اخاطب نفسي في انطلاقة سارح ... واهتف حينا او اثور بلا سب
وأفرح في صمتي فاضحك باسما ... وطورا اراني قد أويت الى كتبي
وما نالني فقر ولا ضنك عيشة ... فوسع خيالي ان يخفف من كربي
وان حرد المحبوب واستظهر الجفا ... أتيت به عجلان فارتد في جنبي
تكر بوهمي حادثات كأنها ... شريط تصاوير يكدر او يصبي
رعى العلم احلاما نراها بيقظة ... منمنمة الاطراف معسولة الخطب
يتممها حلم الليالي بجفنه ... فنركب في دنيا النجوم على الشهب
فيا عالما بي بالحزن والهوى ... سعدت على نجواه او ضل بي دربي

أسميت (غضبانا) وما شام ناظري ... بوجهك الا نفحة المرتضى العذب
بلى ، انت غضبان اذا لم تجد فتى ... تحلى بخلق او أفاء الى رب
لك القلم الاصفى الذي ببيانه ... تخط لنا دنيا ترف على السحب
وشعر يرد الحسن للشعر بعدما ... شقينا بمنظوم أتانا بلا جلب
هجين فلا من والد يحمل اسمه ... وقد فزعت منه الامومة للحرب
يموج بأفكار تشتت شملها ... رأيت بها التعبير ند عن السرب
مخلعة لا تستقيم لنغمة ... يضيق بها سحر البيان من العرب
ولو قد حوت من حكمة او دراية ... لقيل عفوناها فمرت بلا ذنب
ولكنها هاجت وماجت بداعر ... به تؤد الاخلاق في أخبث الترب
مراهقة ، قولي ، من الفاسق الذي ... أصابك بالبلوى فبت على ندب

معيذ الحجى والشعر بوركت راعيا ... ايا منحة الابداع في الفكر والكتب
لئن حن لبنان الحبيب مكرما ... لمنبتك الريان بالزهر والقلب
فان ضفاف النيل تحويك مثلما ... حوت زهرة اللوتوس بالطيب والشرب

دمشق

زكي المحاسني



بقلم رجاء ابو غزالة

أسند ذراعيه فوق مكتب الجوازات وأخذ ينظر في كل اتجاه ..

انه شاب في الثلاثين من عمره تلمع عيناه تحت حاجبيه الكثين كعيني صقر في سماء صافية ، يشم رائحة الفريسة عن بعد الاف الاميال وينقض عليها انقضاض الصاعقة ليشعل فيها الفناء .

انه وسيم قبل كل شيء ، يشعر بالفخر كديك الحبش فينفخ صدره في حركات استعراضية تلفت انتباه الجالس امامه فيتطلع اليه بفضول محبب سالخا عن روحه عبء الانتظار والملل ووطأة الحر الشديد ، يفضفض جناحيه في الهواء ويفلي جاكتته الانيقة بعناية فائقة باحثا في ثناياها عن علبة كبريت ، وبخفة ورشاقة يعلق السيجارة في شفته السفلى كالحاوي العريق فتتدلى باهمال لطيف يقنع الناظر اليه بأنه شخصية هامة لها شأنها في عالم المال والنساء .

قميصه الحريري من النوع الهفهاف ، من النوع الذي تعشقه النساء لانه مشبع برائحة التبغ المحروق والرجولة الدافئة . وياقته المنشاة تطبق على رقبته كالكماشة فيتلوى بين الفينة والاخرى كسمكة سلطان ابراهيم رافعا ذقنه الى العلاء ملحلحا باصبعه الياقة طلبا لمزيد من الهواء .. انه هكذا ، يعشق الاناقة او على حساب انفاسه .

شيء اخر لم نتحدث عنه ويشكل اهم عامل في شخصيته الجذابة الا وهو الشبه الغريب بينه وبين الممثل بول براينر . انه نسخة عجيبة بل الاصح ان الممثل نسخة رائعة عن صديقي الحميم الذي ما زلت معجبا به حتى الان . فهو اجتماعي من الطراز الاول ، فعدا كونه نجما سينمائيا فهو يتمتع بسحر الشخصية وعذوبة الابتسامة .

كان هذا كل ما لديه من رصيد وكم تمنيت يوما لو يكون لي هذا الرصيد . فهو ان جلس اليك انخرط لتوه في الحديث عن صفقاته الوهمية ، عن ذكائه الحاد ، عن خبثه وخبرته في صيد الفريسة ، عن ميكانيكية نتفها وطبخها في طنجرة البريستو . وتهتز مشاعرك لبطولاته فتتقبل غزل حنكشياته لا لسبب معقول بل لكونك لا تريد ان تخيب امله او تحطم بسماجة ما ينسجه بلذة وسعادة . انها حياته بل هو لا يستطيع ان يحيا بدونها ... ان يحيا بلا امال تكسر انعكاس ظلمة الواقع . انه سعيد وتجد نفسك وانت تصغي اليه بقلبك لا بعقلك انك انت الاخر سعيد . فهو يعرض عليك بضاعته بطبيعة مرحة خيالية تلون واقعك بالف لون ولون فتحبه من اجل هذا وتزداد ضيافتك له فتصل بك الوقاحة الى درجة من الحماقة فتستضيفه في منزلك وتتخلى له عن سريرك لتنام على ارضية البلاط .

وهو بصورة اخرى سحابة صيف رائعة الصفاء تسكب السكينة والهدوء ثم تنقلب فجأة في نفسك الى اعصار ، الى صراع ، الى امطار وزوابع . لكنه يمتاز بصفة المغامر ، المصارع ، المقامر لانه عندما ينفض صدره امامك ويدلك عضلاته بحركة لولبية تشعر بانك امام طرزان لا يستحي من خياله العاري . فانا مثلا عندما احلم بان اصبح مليونيرا اشعر باستحالة الحلم فاحجم عن طرح احلامي امام الرفاق خوف السخرية .

الى هذا الحد وصديقي بألف خير لان البلدة التي امها منذ يومين تتمتع بكل الصفات والمؤهلات التي تكفيه وتشبع رغباته . بلدة خام كما يقولون .. تحتاج الى ايد عاملة، الى مشاريع مدهشة الى صرعات ، صفقات ، الى كل شيء ..

عندما اهتزت قدماه فوق ارضها تنبأ بحلول النعيم من دولارات وذهب وعملات صعبة .. فهنا يستطيع ان يصبح مليونيرا بغمضة عين .

لكن حذار ان تسخر من صاحبي فهو ان اشتم رائحة الميوعة في تكشيرتك الصفراء غاص في مقعده حتى حافة عجزه ومدد ساقيه الطويلتين امامك في استرخاءة مسمومة، ونظر اليك من زاويته وهو يهز راسه عن حكمة واشمئزاز . خذ حذرك انه يحدجك بتلك النظرة القاتلة الكافية لاحالتك الى حديد مذوب يصبغ منه ما يشاء . يهرش مؤخرة رأسه الاصلع ، يمسده ، يحك اذنه ويروح في صمت جامد يشعرك اثناءه بانك عبارة عن فأر صغير لا غير يحاول النيل من فيل كبير مثله . اتفقنا على العيش معا في فيلا صغيرة . جاء هو بثلاجة عتيقة اشتراها بثمن زهيد وانا ببضعة كراسي مهلهلة وبوتوغاز ثم سرير واوان للمطبخ .

كان وجوده في الحقيقة مسليا يضفي على الجو رطوبةعذبة مما حدا بي اخيرا الى عدم شراء مكيف للهواء . فكنا نلتقي في الليل ونفترق في النهار . كان مركزه الطبيعي وراء هيكل الطائرة فهو عندما يتحدث عن قطع الغيار والشحم والزيت تطفح السعادة من عينيه ويبدأ في الشرح والاستفاضة فأحسده على سعادته لكنه سرعان ما ينقلب فيبدأ في



احاديثه المنثورة بالمـــال والمغامـرة فأخاله رجلا مسحورا ، مخمـورا ، مشكوكا بالريش يمتطـي اجنحــة الخيال بعذوبة ورقة . انه لا يكتفي بواقعه الحقيقي السعيد بل يرفضه بحثا عن الاثارة ، عن اللذة وكثير من المـال .

في كل يوم يعود بافكار جديدة .

ــ عقدنا اليوم صفقة مع فلان

ــ وما نوع هذه الصفقة ؟

ــ زيت زيتون ، جبنة بلدي . . .

يدخل في اليوم الثاني وهو يطبطب على كتف رجل قزم ويقدم له الكرسي « محسوبك رجل افكار » ثم يلتفت خلفه « عشاء فاخر يا سعد » .

وينتابني الفضول فيهمس فـي اذني « هذا شغل يا عزيزي » .

ــ ومن اين لي بالعشاء ؟

ــ تدبر اي شيء ، لحمةبوفتيك ، دجاجةمحمرة ، صلطة ، اللي يعجبك

ــ بوفتيك ؟؟ دجاج ؟؟

ــ اذهب الى البقـــال القريب ، المهم احضر الطعام لا تقف هكذا فانا رجل اعمال ، انه فرصة لا تعوض ، يملك الملايين .

ــ والفلوس ، من اين لي بالفلوس؟

ــ على حسابي ولكن ادفـع الان من جيبك .

واذهب الى البقال لاعود فأجـده في غيبوبة ، يقف ويقعـد ، يهـز الكرسي يعدلها يصيح ويخفض من صوتـه .. يتنهد يمسـح العـرق المتصبب عن جبينه ورقبته وانفـه وحول شفتيه .

واقـف في المطبـخ الهزيـل كالفارسون الغبي الحزين . يعمـل راسي كالالة الحاسبة ولا البث حتى اضيع في دوامة من الارقام التائهة .

لقد مضى الشهر الاول وها هـو الثاني على الابواب . وعندما افتح فمي محتجا يصيح بي هائجا :

سدد الديون يا اخي ماذا تنتظر سأدفعها بالمليم صبرك بس .

والزبد والسمك والجبنة اعـود لاجدها في فمه تتمطى وينظر الـى من زواياه الخاصــة وهـو يتلمظ « انك رجل كامل يا ســـعد فانت لا تصلح في نظري الا للزواج » .

ــ وماذا عن ازوجتك ؟

ــ زوجتي لقد هجرتهـا .. اوه لقد بطلت موضة الزواج هذه الايام. ثم يستدير براسه وهو يحك صلعته وينفجر مسرورا « شفت لك بنت حنفصية اليوم يا لطيف » ؟

ــ ماذا ؟ حنفصية .. اين الذوق

ــ دعك من الهزار .. انك لا تفهم بهذه الاشياء .

ــ النســاء ؟

ــ نعم النساء محسوبك لا يقف في طريقه شيء .

ــ لا لا ارجوك اني افهم وماذا عن الصفقات اخبرني عن « نمرود » و « ابو العبد » عن البقال الــذي عقدت معه صفقة الزيتون واصبـــح صاحبك الحميم .

ــ الصراحة يا اخي سعد . حـك مؤخرة راسه وهو في غيبوبة عن كل ما حوله « ان العمل مع هؤلاء يزعجني بعض الشيء » مدد قدميه « انهــم يصفون اليك ويهزون برؤوســهم ، تحضر لهم العشاء تصنع من نفسك أرجوزا ، تبذل جهدك في اقناعهـم واخيرا وبعد كل هذا العناء وبعد ان تقتنع بانهم كالخاتم في اصبعــك ينزلق الواحد منهم تلو الاخر فـوق قفاه وينظر اليك ببله ، اين الضمان اين العينات وقع هنا ادفـع الفلوس هات الشهود » تثاءب ثم نظـر الي طويلا « انت تعرفني ابو السعد فانا لا احب المشاكل خصوصا السجن . ماذا يريدون مني الا تكفـي كلمة الشرف ، مني المجهود ومنهم المال اليس كذلك ؟

ــ اســمع ايها الرفيق انــك لا تصلح لهذه الاعمال فهي تتطلـب منك توصيات ورشوة وراس مـال صغير لا يهمك ان غامرت به .

ــ انا من يصلح لهذا العمل ، لماذا جئت اذن الى هذه البلدة

ــ ان عملك ثروة ومرتبك مرتفع، سنتين اربع وتجمع المال المطلـوب لمشاريعك .

ــ وهل تسخر مني ، اتحسبنـي جبانا مثلك ، خمس سنوات وانـت تعمل ، قل لي ماذا جنيت . اريد ان اصبح غنيا هل فهمت سأجمـع مليونا .

وتمضي الايام وفي كـل يـوم يعيش في مغامرة . تـرك الصعلوك والبقال وابو العبد وانتهى به المطاف الى مشروع جديد . شراء منـزل وتقسيمه الى غرف يؤجر كل واحدة منها على حدة .

ــ ارايت الاجانب كيف يهبطـون على البلد كالجراد ، معظمهم يفضـل النزل على الاوتيل . محسوبك خبير بميولهم ، ثم ان في البلدة ازمــة سكن والايجار في ارتفاع مستمر ، اريد ثلاثين الف .

ــ ومن اين لي

ــ ابو السعد . تقدم مني وهـو يغمز بعينيه « بربك الا تملك هــذا المبلغ خمس سنوات وانت تعمل ، انك تخدعني » ارتفع صوتـــه بنبرة خشنة « قل لي بصراحة بانك لا تثق بي اني احتقر الجبان » بصق علـى الارض وهو يتمتم بهدوء « بخلاء .. يحرصون على القرش كيهود خيبر »

وفي اليوم التالي يفاجئني ملهوفا « اسمع لم يبق امامي الا المدير ابـو السعداستعد لليلة القادمة ستكون صاخبـة » .

ــ وماذا ستفعل ؟

ــ حفلة خاروف مشوي ، باربكيو يا عـزيـزي ، الا تعـرف مـا هـو الباربكيو ، انه الخاروف المشوي على الفحم اني خبير بمزاج هؤلاء تماما دفعني من كتفي وهو يقهقه .

ــ ولكن

دعني اعمل بمزاج هذه المـرة ولا تقل لي ماما لقد تخليت عـن فكرة الصعاليك وبدات اتعامل مع انـاس محترمين .

ــ اخبرني اذن .

ــ هم .. امسك بفكه وهو يفكر :

« انت تعرف المدير » .

ـ مدير من ؟

ـ ايه مدير الشركة الا تعرفه ، على كل فهو رجل ظريف اعني هو وشلته ، على فكرة فهو يحبني ويقول لاصدقائه انني اظرف رجل التقاه في حياته ، من المحتمل اذا تقربت منه ان يرفع مرتبي ولكن هناك احتمال اخر وهو ان اكون من ضمن البعثة التي ستسافر الى اميركا .

ـ لتتابع دراستك

ـ ليس هذا هو المهم .. المهم يا عزيزي ابو السعد انني سأعامل كأي اجنبي براتب ضخم ومنزل وسيارة وفرش ومكيف هواء زد على ذلك البنزين والتصليحات الاخرى وبظرف سنة ، سنة فقط يكون الراتب كله صاف « نت » .

ـ ومن اين ستأكل ؟

ـ زيتون ، زعتر ، مجدره ، كلها واحدة انظر محسوبك جسم ، عضلات ، طول ، صحة .

مكث صديقي نصف يومه يعد الاسياخ والمكان اللائق بالخاروف العزيز ، رش الحديقة الجرداء بالماء ثم نادى الخادم التي تسكن في البيت المقابل وهمس في اذنها فاسرعت تجري ثم عادت وفي يدها كيس من الليمون وضمة من البصل ونصف شوال من الفحم ، بقي الخاروف .. لعب الفأر في صدري وانا افكر يا ترى من اين اتى بالخاروف التعيس .

ـ « ابو السعد » حملق بي « وهل تعتقد بانني اشتريت الخاروف » ؟

صدق ظني فبلعت ريقي وماكينة الحساب تدور في راسي . لكنه ضحك فجأة وهو يمسح الفحم العالق بيديه .

ـ هل تعرف توفيق

ـ اوه طبعا ، انه الجيولوجي صاحبك الذي يربي فهدا في حديقته.

ـ وماذا يقتني ايضا ؟

ـ غزلان دجاج .

ـ وماذا ايضا ؟

ـ لا تقل لي بانه اهداك خاروفه المدلل

ـ صدقت

ـ مستحيل

ـ باختصار انه ينوي السفر ويريد بيعه .

ـ اشتريته اذن

ـ هكذا يقولون

ـ ستدفع ثمنه

ـ اووه فيما بعد ..

سرح قليلا فخلته قد رحل ولكنه عض فجأة على شفته ملتفتا الى الخادم « فنجان زيت صاف يا مسعوده » .

ـ حاضر يا سيدي

ـ ما رأيك لو اتزوجها .

ـ من مسعوده ؟

ـ صاحبة البيت يا غبي انها تهواني وترقد على ملايين ، ملايين الدولارات ، الا تصدق بأن الليمون من بستان البيت . بدور انا بحبك يا بدور ، روحي فداك ، اموت بالملايين يا بدور .

يشد سرواله الى اعلى ثم يعدل الفحم وينفخ النار .

ساحضر المدير « هرول الى الداخل » سعد اعتني بالنار ، لا تنسى الخاروف ، لبس قميصه وخرج .

كانت الحفلة نظيفة ... انتيم .. ظل صديقي يضحك حتى الصباح ، ومع شروقه كان يغط في نوم عميق هنيء تحرسه الملائكة وتغسله بالاحلام .

مضى شهر بالتمام والكمال وصديقي ينام كل ليلة كالطفل على سلال من الورود ، وعندما اقاطعه متسائلا يجيبني بشخيره المتماوج « اريد ان انام »

قال لي يوما « انك تجلس وراء مكتب وفي غرفة مكيفة ، لا بأس عليك ، ستعيش كالسلحفاة اما انا .. لقد وعدتهم بانني لن اعود الا فوق حمار محمل بالذهب ، لن اعود وجيوبي خاوية .. تصور موقفي

ويصمت لفترة وجيزة ثم ينتفض بتأثر وغضب « ابو السعد ان هذه البلدة لا تصلح لي ولامثالي . عندما تهب رياح الظهيرة في وجهي اشعر بكياني يذوب .. انه انتحار .. انتحار يا ناس

لهذا كنت انتظر رحيله عني وعن البلدة كلها في اية لحظة يثور .

كل من ينظر الي وانا في عملي يعتقد جازما بانني ملصوق بالطاولة بطريقة ما ، بالبلدة ، بالصحراء ، بالجو البليد الرتيب .. انه القدر لا شك . اما الناظر اليه فيحكم عليه بعدم الانسجام مع الصورة الخشنة التي نحيا دقائق صمتها وغموضها .

والذي يجعلني افكر احيانا بتفاهة الكون لا يجعل صديقي لا يفكر بتاتا لانه يفضل الحركة على التفكير .

وها هو يستعد للرحيل .. يملأ حقيبته اليتيمة والشتائم تتطاير من فمه مع رذاذ بصاقه . « كلاب كلهم كلاب » انتظر لحظة ثم اردف «اريد النتيجة » توقف وهو يلهث والزبد يفور من شدقيه « الطرد .. نعم الطرد ، سأقلع مع اول طائرة في صباح الغد » .

وفي الوقت الذي كان يلقي بثيابه في الحقيبة بلا ترتيب بلا تفكير كان عقلي يعمل بسرعة مليون ميل بالدقيقة .

شتمته لانه رفض طلبي .. هذا كل شيء ولكنني انا وحدي اعرف السبب الحقيقي لعدم قبوله لي .. انهم شلة قذرة تسيطر على الشركة .. يريدون عبيدا لا رجالا ، تصور انه طلب مني شراء البقالة واللحمة « مسح فمه » اسمع هذه ايضا امسك ذقنه بشدة ، تحسسها بشرود ثم ضحك .

ـ مستر علي

ـ نعم

ـ هل لديك مانع من توصيل زوجتي عند صاحبتها .

ـ لا مانع البتة .

ـ انت تعلم ابو السعد بأن لا مانع

الحداء الاخضر

الى رفيقة الدرب منذ خمسة عشر عاما

ـ ١ ـ

فداك يا رفقة العمـر الضلـوع وما ... حوت وما في شراييني .. وفي خلدي
تهيـم في خـاطري ايامنـا عبقـا ... وان ازد لهفـة يا حلوتـي يـزد
وفي مدى قلبـك المسحور لي سكن ... ان يعصف الغاضب التيار بالبـرد
حتى م ارقـب نجم الليـل من أرق ... وانت غارقـة في نومـك الرغـد

ـ ٢ ـ

تظـل تقـول هـواك الـذي ... بصـدرك هـل آن ان يعلنـا ؟
أمـا آن ان يستفيـق العبـير ... علـى غصنـه فتضـوع الدنـى
أمـا آن للنغـم المستريـح ... علـى نـايه ان يـرد الغنـا
ونحـن شريكـان في دربنـا ... نقاسم عمر الشقا .. والهنا
بلـى .. والربـاط الوثيـق الـذي ... يشـد الهوى للهـوى امتننـا
بلـى .. ان طـي الضلـوع اختفـى ... هـواك .. ومـا حملـه هينـا
ولكـن فـي انقبـاضـا قديمـا ... يغيـم علـى خـاطري موهنـا
فـلا تظلمـي في الهـوى خافقـا ... يظـل ـ بمـا ضمـه ـ مؤمنـا

الرياض . عبد السلام ابراهيم ناجي

عندي ولكنني لا احب المشاكل .

ـ والان دعك من المدير ، اذا عن الدين .

ـ لن ادفعه .. صرخ بي

ـ سيقع فوق راسي

ـ لتذهب الى الجحيم

وانقلب غضبه بعد لحظات الى تعب واضح ثم أردف قائلا « ان الفلوس لا تهمني »

ـ ادفعها اذن

سحب من جيبه سبعة الاف « هذا كل ما لدي وبعرق الجبين ، هيه » بسطها في يده بخفة كأوراق اللعب .

ـ انها لك ، كلها لك « ثم اعتدل في وقفته وراح يمسدها بكفه وينقر عليها بايقاعية محببة :

ـ ابو السعد

ـ « نعم » نفضت عني الذهول

ـ هل فكرت ما عساني فاعل بها

ـ ستدفع الديون والباقي في البنك .

ـ « ها » ضحك بسخرية « انك لا تحزر ابدا ، تفكيرك يتجه ابدا نحو التقتير والتجميد والموت سأفتح بها بارا » .

ـ هكذا اذن ، بمفردك ؟

ـ وماذا تفعل السبعة الاف ، سأدخل مع شريك

ـ وهل انت متاكد من نزاهته ؟

ـ طبعا ، البار يا عزيزي منجم ذهب

ـ لكن حذار فصاحب الصنعة جلده خشن

ـ محسوبك بطل

كانت هذه الاعترافات اخر ما سمعت من شفتي صديقي ثم سافر في اليوم التالي وافتقدته كثيرا لكن سرعان ما نسيته بعد اسابيع .

وفي الاجازة كان اول شيء فعلته ان ذهبت توا اليه . وجدته في مسبح جميل وبين غادتين برونزيتين . كان يضحك بأعلى صوته . كان سعيدا . سألته عن البار

« اي بار » ضم الفتاتين الى قلبه « حريم يا استاذ ، سلطان في ارضه

واخبرني فيما بعد وهو يلعب بعلبة الكبريت ويهز راسه حسرة معك حق ابو السعد .. انت لا تصلح الا للزواج »

غارسون « صاح متفائلا » هات قهوة للافندي « وتطلعت اليه بدهشة « ولو انت ضيفنا » ولكن حفاوته لم تخدعني . فقد اضطررت رغم كل ذلك لدفع الحساب !

جدة — رجاء ابو غزالة

اصـــداء

بقلم اديـل الخشن

★

لـــك ، الياليـك ،
احرقـت بخـوري ...
في قبـاب الهياكـل ،
اختنقـت صلواتـي
وعلى صدور النوافذ
سفحت اغـاني شـموعي .

أمواجـي حزينـة سـاكنة
في مرآتهـا يتمـدد ظلـك
وعلى شفتي المطبقتـين ،
مصلـوب اسـمك .

الى هنـــاك ...
الى افق القنـاديـل النـائمة
ترحـل عينـاي
وكأزهـار النيلوفر
تعيش حرائقي في المـاء !

منذ تبدلـت الفصـول ،
تركت فراغـات الارض ،
تنشقتنـي الشمس
واقمـــت
فـي هـوادج السحـاب ..

كـان ربيعـا ....
وهـوت رمـاح الخريـف
علـى الاشـــجار
والامطـــار ،
اطفأت وهـج الاصـابع المضـاءة !
يوم ابتدعـت خريفـا عاصفـا
وعريـــت ورودي !
يوم طعنت البراعم المزهوة
واشـــعلـت
الف صيف فـي قلبـــي !

لا تنـادنـــي ...
اسـمي جفت انغـامه
لا أحس عفوية انزلاقـه
علـى شـــفتيـك .

من همس عينيـك
ترتعش جراحي المفتوحـة
تشعلهـا ضمـادات الملـح
وتستفيق عيون السـماء .

ابعـد عنـي يديـك ،
فلن اصلـي بعد اليوم فيهمـا
لـن اسـافـر
على مبـاخـر الـدفء .
والالحـان المتهـادية
الزاحفـة كالنمـال
سـتدق بأرجلهـا
ابـوابـا مغلقـة
ويصفعهـا الصـدى الهـادر ...

في امتـداد حبـك
نضـج فرحـي
امتص حـلاوات الاعـراس
وفـي لحظـة
احـترق فرحـي ،
سـقط كسيحـا
في دروب الضيـاع .

لا تبحث فـي لهـاثـك ،
عـن نـداوة الربيـع
فقـد جـف النهـر
النـابع مـن عينـي
وعلـى شـفتي
يبست حروف كتابـك !

الشويفات ـ لبنان
اديل الخشن

واصف كمال - محمود سيف الدين الايراني

بقلم البدوي الملثم

***

١ ـ واصف كمال

الشعار الذي آمن به « واصف » وتغنى به ، وذيع له قول المهاتما غاندي : « جميعنا نحب بلادنا حبا يدنو من العبادة ! » .

ولد « واصف » في نابلس بفلسطين عام ١٩٠٧ وانهى دراسته الثانوية في كلية النجاح الوطنية بنابلس وفي الجامعة الوطنية بعاليه بلبنان والتحق منها بالجامعة الاميركية في بيروت وأمضى فيها سنتين دراسيتين ، ثم سافر الى انكلترا ودرس الحقوق في جامعة لندن (١٩٢٦ ـ ١٩٣٠) وبعد ان عاد الى فلسطين عين استاذا للتاريخ الحديث واللغة الانكليزية للصفوف العليا في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، واسهم في غرس الروح الوطنية في نفوس طلاب هذا المعهد الوطني وحضهم على الجهاد وبذل الغالي والنفيس في سبيل الوطن .

ولم يقف بطاقته القومية عند هذا الحد ، بل شارك في الحركة الوطنية الفلسطينية وراح يحذر من مخاطر الاستعمار ، وينشر بين عرب فلسطين والاقطار المجاورة ان الانتداب البريطاني هو رأس الداء ، وأصل البلاء ، وحض على المقاومة الوطنية وتوجيهها نحو القضاء على الانتداب وربيبته الصهيونية .

وفي عام ١٩٣١ عمل على تنظيم مؤتمر قومي في نابلس للاحتجاج على تسليح الانكليز لليهود ، واشترك في مظاهرة عارمة قامت بها سيدات نابلس ومن وراءهن الرجال ، فوقع اصطدام بين المتظاهرين ورجال الامن ، وجرح عدد منهم وفي مقدمتهم مدير الامن العام في نابلس وهو بريطاني ، وعدد من الاهلين ، وأسفر هذا التظاهر عن اعتقال طائفة من شباب المدينة ، وصدرت احكام جائرة بحقهم وفي عدادهم « واصف » الذي حكم عليه سنة مع الاشغال الشاقة ، ثم خفض هذا الحكم الى ستة شهور قضاها « واصف » في سجني القدس وعكا .

وتناهى نبأ سجنه الى لفيف من اخوانه الطلاب العرب في بريطانيا الذين قدروا جهاده وتضحياته ، فحيوه في سجنه بالكتاب التالي :

« لندن في ٣ تشرين الثاني ١٩٣١

ان اخوانك الطلبة العرب في لندن الذين تتبعوا اخبارك بكل دقة واهتمام يحيونك ويحيون فيك روح الوطنية والتضحية والاباء ، تلك الروح التي استقبلت بها السجن ، ويغبطونك على الشرف العظيم الذي حصلت عليه بدخولك جنة الاحرار ، ويرجون لك طيب الاقامة هناك ، بين من سبقك اليها من اهلك وصحبك المجاهدين في سبيل الحرية والمجد والشرف . وهم يرفعون الرأس عاليا افتخارا بك ، واعتزازا بالمبدأ الشريف الذي ضحيت من اجله والذي يعدونك ممثلهم فيه ، فانك كنت ولا تزال « سفيرهم » فكلهم بايعوك ، وكلهم حافظ للعهد ، وكلهم فخور باخيهم الحر السجين .

وفي الختام دم سالما لاخوانك في العروبة .

رجائي الحسيني ، زكي درويش ، أنيس بيبي ، محمد حديد »

وبعد خروجه من السجن تنادى مع عدد من اخوانه العاملين معه في الحقل الوطني لاذكاء الروح ودعوا الى تشكيل اللجان القومية في المدن الفلسطينية وانتخب عضوا في اللجنة القومية بنابلس .

وظل المسئولون البريطانيون يراقبون نشاطه الوطني حتى أطبقوا عليه في عام ١٩٣٦ وارسلوه الى « معتقل صرفند » مع الاستاذين اكرم زعيتر وممدوح السخن ، وكان ثلاثتهم آخر من غادر ذلك المعتقل .

وفي صيف عام ١٩٣٧ عقد « مؤتمر بلودان » فاشترك « واصف » فيه ثم عاد الى نابلس ، وعلى اثر اغتيال اندروز ، حاكم لواء الجليل ، حاولت السلطات البريطانية اعتقاله فلم تقو على ذلك لاختفائه مدة ، ومغادرته نابلس ، متنكرا ، اذ تسلق جبال سمخ المشرفة على بحيرة طبريا سيرا على قدميه ومنها بلغ سهول الجولان فالقنيطرة فدمشق .

وفي عام ١٩٣٨ دعت بريطانيا الى عقد مؤتمر في لندن لبحث القضية الفلسطينية ، وقد حضرته وفود من الدول العربية ، ووفد من العاملين في الحقل الوطني بفلسطين ، فاختارته الهيئة العربية العليا عضوا في الوفد الفلسطيني ، لكن الحكومة البريطانية لم تأذن بدخوله ... الى لندن ، وحالت بينه وبين الاشتراك في الوفد الفلسطيني .

وفي دمشق ظل « واصف » يعمل مع اخوانه الوطنيين ، ويساهم في دعم الثورة الفلسطينية وتزويدها بالمال والسلاح والرجال ، وما لبث ان دخل فلسطين سرا واشترك مع الثوار في الشمال ، حيث كان للقساميين نشاط محمود ، وجهد مشكور في محاربة المنتدبين . وبعد جهاد اربعة شهور في شمال فلسطين عاد الى دمشق وظل يعمل في مؤازرة الحركة القومية الفلسطينية حتى اندلاع نار الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) . ونتيجة لهذه الحرب اشتد التعاون بين الانكليز والفرنسيين للتنكيل بالفلسطينيين العاملين في تغذية ودعم الثورة الفلسطينية ، فبارح « واصف » دمشق الى بغداد وعمل مدرسا في المدرسة العسكرية مدة سنتين ، وكان يدرس مادتي التاريخ السياسي الحديث واللغة الانكليزية ، ووجد بين طلابه عددا من قادة الجيش العراقي اصحاب العقيدة القومية .

وفي العراق ساهم في تهيئة جو عدائي ضد الانكليز ، واخيرا تطورت الامور اذ اندلعت نار الثورة التي قام بها رشيد عالي الكيلاني ، فالتحق « واصف » بصفوف المقاتلين العرب ضد الانكليز وحارب في جبهة صور ابي غريب بصحبة المناضل الشهيد يونس السبعاوي والاستاذ ممدوح السخن .

وبعد ان فشلت ثورة الكيلاني في العراق لجأ « واصف » الى سوريا بعد ان احتلها الانكليز واضطر ، مع عدد من قادة الحركة الوطنية الفلسطينية الى اللجوء لتركيا ، وبعد ثمانية شهور من وجوده في الربوع التركية سجنته السلطات هناك بداعي ان الانكليز ابدوا الاحتجاج تلو الاحتجاج على نشاطه ضدهم ، فأجبر على مغادرة تركيا واللجوء الى المانيا وايطاليا من عام ١٩٤٢ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

وفي عام ١٩٤٦ عاد الى دمشق واستأنف نشاطه السياسي وتعاون مع اخوانه في الهيئة العربية العليا ، وعندما طرحت القضية الفلسطينية على هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ وقع عليه اختيار الفلسطينيين ليكون عضوا في الوفد الفلسطيني للدفاع عن وجهة النظر العربية ، فحضر المناقشات الى ان اتخذ قرار التقسيم .

وبعد ان أيقن من الموقف السلبي الذي تقفه الولايات المتحدة والدول الغربية من القضية الفلسطينية غادر اميركا الى سوريا مؤثرا الاشتراك في مقاومة قرار التقسيم ، وكان من الداعين الى ضرورة

تنظيم المقاومة الفلسطينية بالاشتراك مع الدول العربية وجيش الانقاذ ، ومن المسؤولين عن « غرفة فلسطين » في وزارة الدفاع السورية ، وعمل مع المرحوم الفريق الركن طه الهاشمي .

وفي منتصف ليلة الخامس عشر من شهر ايار ١٩٤٨ دخلت الجيوش العربية فلسطين لتحريرها من ربقة الاستعمار والصهيونية ، لكن الدول العربية لم تقم بالدور الذي يفرضه الدم العربي ، ورحم الله شاعر النواعير بدر الدين الحامد القائل من ملحمة شهيرة له :

ليتهم ما جردوها حملة ضحكت منها علينا الامم
اتخذوا الخصم مشيرا ناصحا وهو في الموت عليهم حكم
قادهم شبرا بشبر فمشوا مثلما شاء لهم واستسلموا
ومضى التاريخ لم يحفل بنا فبكى المهد وناح الحرم !

وفي عام ١٩٥٠ التحق « واصف » بمؤسسة البنك العربي مديرا لفرعه في دمشق وما يزال يعمل في هذه المؤسسة الاقتصادية العربية .

نموذج من نثره : (من رسالة بعث بها الاستاذ كمال الى صديقه الاستاذ ناظم القدسي اثر توليه رئاسة الوزراء في سوريا عام ١٩٥٠)

« ليس بالامر الجديد ان تصاب امة في تاريخ حياتها بالفشل تتلوه النكبات ، وان تحل بها الهزيمة فيكون من نتائجها التشتت والخسارة وضياع جزء من الوطن العزيز ، فالتاريخ القديم والحديث مليء بهذه الحوادث . ولقد سجل بعض الامم المنهزمة التدهور والانحطاط ماديا ومعنويا ، الامر الذي أفضى الى زوالها ، كما سجل للبعض الاخر رد فعل للفشل .. كان من نتائجه دراسة شاملة عميقة لبواعثه واسبابه ، فمعالجة واقعية فبعث فنهضة صحيحة تؤدي الى القوة والعزة والشعور بحتمية استرداد المفقود من الكرامة ، واسترجاع المغصوب من اجزاء الوطن .

قبل زمن فقدنا لواء الاسكندرون ، وحديثا فقدنا فلسطين ، وسنفقد غيرهما اذا بقينا على هذه الحال ، فهل من معالجة جدية جذرية لواقع حال الامة العربية ، تدفع بالمسؤولين من رجالها الى قيادتها نحو الهدف الاول وهو استرداد ما فقدت من كرامة ، وما خسرت من اجزاء ، بطريق القوة الناجمة عن وحدة اجزاء الوطن العربي والتعبير عمليا عما يشعر به افراد الامة المؤمنون ؟

انني يا أخي أحملكم وأمثالكم من المسؤولين ، ممن يؤمنون بالكفاءات وبالاساليب العلمية الحديثة وبرسالة الشباب المؤمنين بالوطن العربي ، مسؤولية قيادة السفينة !

اننا نرقب موقف سوريا في اجتماع الجامعة العربية المقبل ، فهل لنا ان نرجو نهجا واقعيا بعيدا عن المداورة ، قوميا في دوافعه ، قوميا في وسائله ، قوميا في اهدافه ؟!

لقد فقد افراد الشعب العربي ثقتهم بانفسهم وبرجالهم وبزعمائهم وبدولهم وبأمتهم ، فتلاشت معنوياتهم ، فهل من عمل يعيد بعض ما فقد الناس من ثقة في أمتهم ودولهم ؟

أليس من المؤلم المخيف ان تجد اينما سرت شعورا بان امتنا بائدة لا محالة ؟ وان ما جرى ويجري اثر نكبة فلسطين يثبت ذلك ؟ لست ممن يبرؤن انفسهم من بعض المسؤولية في الماضي والحاضر ، ولست في معرض تحميل احد قسطا من هذه المسؤولية كبيرا كان او صغيرا ، ولكنه صوت مبعثه ألم دفين ، وأمل دائم ! » .

٢ ـ محمود سيف الدين الايراني

الحكمة التي آمن بها « محمود » واتخذها دستورا وحملها شعارا ، قول المفكر الحر سلامه موسى :

« مهمة الكاتب ان يجعل القارىء يحيا الحياة التاريخية ، ويحس أنه انسان عظيم له مشاركة في تغيير هذه الارض وترقية مجتمعاتها وتطوير حضارتها ! » .

في « يافا » عروس الساحل الفلسطيني المغصوب ... ولد « محمود » عام ١٩١٤ ، وأنهى تعليمه الابتدائي والثانوي في كلية الفرير عام ١٩٢٩ وخرج الى الحياة مسلما بثلاث لغات حية هي ، العربية والانكليزية والفرنسية ، وأكب على الكتاب يستجلي روائعه ، ويستعرض بدائعه ، وينشد نفسه في محاسن الكتاب :

سمير اذا جالسته كان مسليا فؤادك عما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة وغير حسود او مصر على حقد
ويحفظ ما استودعته غير حافل ولا خائن عهدا على قدم العهد !

وبعد ان عب « محمود » من امهات الكتب التي سامرها في اللغات الثلاث شرع في نشر نفثاته في الصحف الفلسطينية ، وابرزها « فلسطين » و « الدفاع » و « الجامعة الاسلامية » . وفي مجلات « الشباب » لاميل غوري و « اللهب » ليوسف فرنسيس و « الرائد » لامين ابو الشعر ، وصال بقلمه وجال على صفحات « السياسة الاسبوعية » و « المقتطف » و « الثقافة » و « الطليعة » و «الطريق» البيروتيتين واخيرا مجلة « العربي » الكويتية .

وربطت بين « محمود » وبين نفر من اعلام القلم في مصر صلات قوية من الود والولاء ومن ابرزهم المازني ومحمود تيمور والدكتور محمد حسين هيكل وسلامه موسى والعقاد وابراهيم المصري الدكتور وابراهيم ناجي وعلي محمود طه ومعاوية محمد نور وغيرهم .

وفي عام ١٩٣٥ حمله طموح الشباب على اصدار مجلة اسبوعية ادبية في يافا باسم « الفجر » بمشاركة الاديب المرحوم عارف العزوني، وقد صدر منها حوالي ٥٠ عددا ، وكانت مسرحا لاقلام ادباء فلسطين ومصر والعراق وسوريا ولبنان .

وعمل « محمود » في حكومة فلسطين فترة ، وفي اوائل الاربعينات هبط الاردن وعين استاذا للغة العربية ومديرا لمدارس ثانوية ومفتشا للغة العربية في وزارة التربية والتعليم وسكرتيرا عاما للجنة اليونسكو الوطنية ومديرا للتعليم الخاص . وفي عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ أوفد الى باريس في بعثة للتخصص بشؤون اليونسكو على نفقة المنظمة العالمية ، واخيرا عين مديرا للدائرة العربية في وزارة الثقافة والاعلام الاردنية .

وابان عمله في وزارة التربية والتعليم اسهم في حضور عدد من اللجان والمؤتمرات واشرف على اصدار مجلة « رسالة المعلم » .

عالج « محمود » بقلمه القصة القصيرة ، موضوعة ومترجمة ، واقبلت طائفة من اساتذة الجامعات العربية والمستشرقين على درس نتاجه القصصي ، وفي عام ١٩٣٩ اهدت مجلة « المقتطف » قراءها كتابا ضخما اشتمل على ٣٨قصة عالمية كان في عدادها قصة « حطام ! » بقلم الايراني .

ويعتبر « محمود » في طليعة رجال التربية والتعليم في الاردن ، وألمع شخصيات هذا القطر العربي هم من تلامذته الذين يذكرونه بالخير استاذا ومديرا ومفتشا ويمحضونه الحب والتقدير .

ومنذ اشرع هذا القاص الكبير قلمه ، ونذره لتصوير المشاكل الاجتماعية التي تواجهها الطبقات الكادحة ، والفوارق التي تفصل بين الناس في مجتمعهم ، واخراجها في مقالات لماعة الاصباغ والتلاوين ، أصبح صاحب مدرسة حديثة في فن القصة القصيرة ، وعده مؤرخو الادب العربي المعاصر الرائد الاول للقصة القصيرة في فلسطين .

« ... وفي صدر الايراني (١) تزدحم القيم الديموقراطية الصحيحة ، والمواقف الاجتماعية الواعية ، والتطلع الى الامام في حركة الحياة ، والايمان بانتصار القوى الكادحة العاملة ... وفي ذهنه صورة صحيحة للحياة السليمة !

وقصص الاستاذ الايراني محاولات تطبيقية لفكرة الفن التعبيري الهادف ، المناضل الذي يتفهم الظروف ، ويتخذ من المشاهدات والتجارب الخاصة نماذج فنية تصلح مقياسا للنواميس الطبيعية العامة ، ومع ذلك فيها تلك الالوان الحسية الشخصية ، وفيها تلك الحرارة الفردية .. ولكنها ليست فردية شاذة وانما هي فردية نموذجية

نها طابعها الخاص الذي يصلح قياسا للطابع العام حين تتشابه الظروف .. وهذا اللون المميز ، وهذا الطابع الخاص يضفي على المضمون حيوية تجعله عملا فنيا ذا شان .

ولقد ادرك الاستاذ الايراني ان التمرس بالحياة وتاريخها ودراسة التجربة واستيعابها وتمثلها في ظروفها ومعرفة الاتجاه الصاعد فيها كل ذلك ضروري للعمل الفني الحق .. ولكنه في التطبيق لم يوفق الى عرض هذه القيم فنيا في بناء قصصي سليم ، فتراكمت معه ومالت الجدران في البناء ، كما فهم ان الفنان هو خادم المجتمع الامين ، وان الفن اداة من ادوات ترقية الوعي الانساني ، وانه وسيلة من وسائل تحسين النظام الاجتماعي الذي يعيش الناس في ظله ... من اجل هذه المفاهيم والقيم عددنا الاستاذ الايراني ظاهرة مضوئة في تاريخ الادب القصصي في هذه المرحلة ، كما كان الاستاذ خليل بيدس ظاهرة مضوئة في المرحلة السابقة . «ومدرسة الايراني ومحاولتها الاعلاء من شان المدرسة المثالية ومحاولتها الرفع من شأن القيم الانسانية ، والمدرسة الرومانتيكية ، كادت جميعها ان تاخذ وجهة السير نفسها في هذه المرحلة .. وما ذلك الا لان الكتاب على اختلافهم في هذه المرحلة قد صدقوا انفسهم واخلصوا لاتجاهاتهم واتقنوا اعمالهم ... والصدق والاخلاص والاتقان في العمل مهما يكن المنهج الذي ينتهج ينتج كثيرا من التقارب في وجهات النظر !

ولعل ذلك يرجع للظروف التي أشرنا اليها في المقدمات الاولى للبحث من حيث ظهور الخطر الجسيم والهاوية السحيقة التي سيتردى فيها الكيان الفلسطيني وكل مقومات وجوده بفعل الاستعمار ... فقد أحس كل فرد ان الكارثة لا تفرق بين احد ، فهرولوا جميعهم في اتجاه واحد ! » .

« والاستاذ الايراني (٢) حافظ على اتجاهه ، وواصل جهوده القصصية ، وان تكن مجموعته قد ظهرت بعد النكبة بعنوان (مع الناس) الا اننا من قراءتنا لهذه القصص نستطيع ان نحكم بكل يسر ما اذا كانت الواحدة منها مكتوبة قبل النكبة او بعدها ! » .

ومضى الاستاذ « محمود » في هذه المرحلة يحاول ان يبلغ بمدرسة غاية بعيدة ... فاتقن عملية الامتزاج بين مضمونه الايديولوجي وبين الشكل الفني وكان اشد الناس حرصا على ان لا يخلو عمله الفني مطلقا من المضمون الايديولوجي كما كان يفعل ذلك الاستاذ خليل بيدس .

والى جانب ذلك كان يحسن اختيار افكاره التي يتخذها اساسا لبناء العمل الفني ، وكانت عملية البناء تتم وتظهر فيها عوامل النمو والتطور والتغير التي تدفع الحياة الى الامام ، وكان يختار شخوصه القصصية من بين جماهير الناس .

وكانوا بسطاء ولكنهم لم يكونوا بحال من الاحوال تافهين .. لان التفاهة في العمل الفني تخلق التناقض الذي يفسد على الفن قيمه .
ففي قصة (الظما) يتخذ خيوطها من وحي ثورة ١٩٣٨ بفلسطين ، وبطلها قروي هجر قريته الجبلية الى المدينة ، وكان في اول شبابه ... بعد ان اجتاح الجوع والموت قريته تلك ابان الحرب العظمى .. وتعلم القروي في المدينة صناعة الاحذية ... ويموت اطفاله الثلاثة وامهم .. ويبقى وحده ، لم يستطع المرض ولا الفقر ولا الهم ان يقضي عليه ، فما زال في دكانه يصنع الاحذية .. وبريق عينيه ما زال متوهجا ... ولكن « عاد صانع الاحذية الى الجبل منذ اسابيع ... عاد وانضم الى رفاق له في الاعالي .. ثم لقي حتفه ببطولة خارقة ! » .

وهكذا يختار الايراني في اعماله الفنية تلك الافكار التي تنتهي بالناس الى ان يقترب بعضهم من بعض ، ويتعاونوا في مواجهة الخطر ، فيستعذبوا باقترابهم وتعاونهم طعم التضحية !
وفي مطالعاته التي أثبتها في كتابه « أول الشوط » حول الثائرين عن كتاب الغرب امثال اندريه جيد وموريس ماترلنك ود. هـ. لورنس وكاترين مانسفيلد ، يثير قضايا فكرية وفلسفية واجتماعية وادبية في غاية الاهمية ، واذا من غايته ان يزيل الحيرة والقلق والشك المهلك ، وان يعيد الصفاء والطمانينة الى الوجدان القلق وان يثبت الايمان بحياة انسانية موفورة الكرامة ، يحث الناس اليها خطاهم حيث المجتمع الجديد تشتمل عليه فضائل الخير العميم تعوض كل شرور الماضي وآثامه !

واذا الثقافة ـ في مفهومه ـ ليست عنصرا قائما بذاته ، مستقلا بنفسه استقلالا تاما عن موحيات ودوافع المجتمع وميراث هذا المجتمع من اخلاف واوضاع ونظم وسائر القيم التي تحدد علاقة الفرد بالمجتمع ... ومن ثم تحكم المجتمع بالفرد واخضاعه اياه لمظاهر قوته ولحملة قوانينه الخلقية والروحية والمادية .. فاذا لم تكن الثقافة صدى حيا لهذا كله او قل مظهرا خطير الشان يعبر عن (ارادة هذا المجتمع) ويحمل طابعه ويصور تياراته النفسية ، اذا لم تكن الثقافة هذا العنصر الفعال وهذا المظهر الخطير الشان ، حق لنا ان لا ندعوها ثقافة !

ان الثقافة صدى المجتمع بكل آماله وآلامه وتشوقاته العميقة ، واشواقه الانسانية الكبيرة ، هذا المجتمع الذي كان دائما خاضعا لعوامل التطور والتجدد البطيئة التدريجية والسريعة التي تولدها الثورات العاتية، تلك الثورات التي ما هي الا نهايةمحتومة لجملة عوامل متمردة ناقمة من صميم مجتمع مشرف على نهايته » .

من آثاره القلمية : نشر « محمود » عشرات المقالات والابحاث والقصص في أمهات صحف الاردن والعالم العربي ، واذاع مئات الاحاديث ، وخرج على القارىء العربي بالاثار القلمية المطبوعة التالية :

١ ـ اول الشوط (مجموعة قصصية) ١٩٣٧ .
٢ ـ مع الناس (مجموعة قصصية) ١٩٥٦ .
٣ ـ ما اقل الثمن (مجموعة قصصية) ١٩٦٢ .
٤ ـ متى ينتهي الليل ؟ (مجموعة قصصية) ١٩٦٤ .
٥ ـ الاردن واليونسكو ١٩٦٥ .
٦ ـ اللغة العربية (٣ اجزاء مع آخرين) ١٩٦٦ .
٧ ـ أقاصيص من الغرب والشرق ١٩٦٩ .

ومن آثاره الادبية المعدة للطبع :

١ ـ أصابع في الظلام (مجموعة قصصية) .
٢ ـ معرض النماذج (دراسات عن ادباء وقصصيين عالميين) .
٣ ـ ترغنيف (سيرته ودراسة أدبه) .
٤ ـ شارلس دكنز (دراسة أدبه) .
٥ ـ رواد القصة القصيرة : تشيكوف ، موباسان ، كاترين مانسفيلد .
٦ ـ في الادب والحياة (٣ أجزاء) .

نموذج من قصصه : (عنوان القصة « الارض الطيبة ») « البحر أمامها ، وجنات البرتقال خلفها ، وهي بينهما تنعم بما لم تنعم به مدينة من قبل . لياليها ملاح زاهرات ، ونهاراتها كد وسعي ورزق كبير ، حبة البرتقال والبحر : مورد خيرها .

شجرة البرتقال ، كان صاحبها يغرسها بيده في المنبت الطيب ، ويظل يتعهدها ويرعاها ويفيض عليها من ماله وحبه ، عينه ابدا عليها ، وقلبه مشغول بها ، وكلما امتدت جذوعها في الارض ، وغلظت ساقها ، وكثرت فروعها ، ورف ورقها الاخضر ، وانتشرت من حولها الظلال والافياء ، تهلل فرحا ، واستبشر خيرا ، وحمد الله وصلى على نبيه الكريم .

وكانت فرحته الكبرى يوم يرى البرعمة تطل من بين الاوراق الخضر ، بيضاء ، ناصعة ، لها عبير فواح ، يتقطر منها الندى ، ويضاحكها النور : سر البرتقالة في البرعمة ، والماء سر : الحياة في

الاثنتين ، ولماء قنوات : شرايين منبعة يتدفق فيها الماء ، من الفجر الى الضحى ، ومن مغرب الشمس الى أن تهزم الظلال ويقبل الليل ، وتتفق البرعمة وتنبثق منها حبة خضراء ، لا تكاد العين تتبينها ، ثم تنتثر البرعمة وتظل الحبة عالقة بفرعها ، يغذيها الماء والنور وتحنو عليها اوراقها الخضر ، وتصونها من الاذى ، وتدفع عنها السوء . وتنمو الحبة ... وتكبر .. وينمو الامل فيها ويكبر .. أياما وليالي .. وتصبح ذات يوم فاذا هي حبة كبيرة ملساء ، ذات مسام ، وبعد ان كانت الشمس تغمرها بقبلاتها الدافئة ، تعود وتبث فيها حرارتها ، وتبقي فيها كل يوم من ذهبها ... وما ان يقبل الشتاء حتى تتلقى تلك الحبة اولى قطراته وقد غدت كرة من الذهب ملء الراحتين بين اوراق مخملية ، مزهوة بكنزها الثمين ، ويحين اوان القطاف ، وتمتد اليها الايدي ، وتتناولها برفق ، وتلفها بورق ناعم ، ملون ، شفاف ، وتضعها في صندوقها واحدة بجانب الاخرى ، وصفا بعد صف ، تنظمها يد صناع ، حاذقة ، ثم ترسل الى عنابر السفينة حيث تحمل الى ما وراء البحار ، هدية نفيسة من يافا ، من الشرق ، فيها قبس من شمسه ودفئه ، ونفحة من طيبه وعطره ، ونبعة حلوة ، ثرة من رحيقه .

والحاج داود لم يكن كغيره من اصحاب « البيارات » انه رجل ابن اصل ، وقد ورث بيارته عن ابيه ، يوم كان الناس ناسا ، والخير خيرا ، وقد نشأ يحب التربة الحمراء ، وشجرة البرتقال ، ولم يكن يخامره شك في أن هذه التربة ذهب خالص ، بل أثمن من الذهب ، فهي ينبوع الخير كله ، ومصدر البركة كلها ، ولم يكن يتصور ان في الدنيا تربة خصبة كتربة ارضه الحمراء ، التي انبتت له هذا الشجر الفينان يحمل كرات الذهب عقودا تخلب النظر .

والحاج داود يخاف الله ويتقيه ، ويرى ان الغرور اثم كبير ، والكبرياء من سبل الشيطان ، ولكنه ، مع ذلك ، كان اذا تحدث عن برتقاله الذهبي وعن تربته الحمراء تملكه الزهو وتطلقت أساريره وضحكت عيناه ، واعتدلت قامته ، وراح يقول والابتسامة العريضة تملأ وجهه : « أي نعم ، بيدي هذه كنست أحفر الارض واغرس الشجيرات واحدة بعد اخرى وصفا ازاء صف ، « كنت اذ ذاك فتى قوي الساعد ، وكان ابي رحمه الله شيخا ، ولكنه لم يكن يرحم نفسه .. كان يقف معنا على قدميه من الفجر حتى غروب الشمس يشرف على العمل ، ويراقب كل صغيرة وكبيرة ، يرشدنا ويسدي الينا النصح . وكانت أسعد ساعات النهار هي التي كنت أرى فيها الابتسامة يستضيء بها محياه ، وهو يمد طرفه فيقع على هاتيك الشجيرات الفضة ، في صفوف عديدة لا نهاية لها ، لا تكاد تمس ذؤاباتها أنسام المساء حتى ترتعش وريقاتها الندية وترف وتتماوج على امتداد البصر ، سكرى برحيقها ... ثم لا يلبث ان يراها في خياله وقد اشتد عودها ، واستطالت ، والتفت اغصانها ، واغتنت بورقها المونق ، وأثقلها كنزها الذهبي ... ولقد توفاه الله بعد ان شهدها بعينيه حقيقة رائعة ، وتفيأ ظلالها الوارفة واكل من ثمرها ! » .

ولقد ابى الحاج داود ان يفارق بيارته ، أبى ان يعيش في المدينة ... ما كانت المدينة باضوائها ولياليها أنسها وضجيج العيش فيها ، تعدل في نظره جلسته في الفجر او عند الاصيل قريبا من الساقية ، يستمع الى لهاث ــ وابور ــ الماء المتلاحق ، يصل اليه من بعيد ، ويشاهد «قواديس» الناعورة تتقلب على دولابها وتريق ماءها في البركة الواسعة فيتدفق منها في المجاري والقنوات الممتدة في كل اتجاه ، ويصل الى كل شجرة يرويها من ظما ، ويشيع فيها الحياة والنمو والازدهار ، وينفث في جذوعها وغصونها وورقها وثمرها النضارة والحلاوة .

وكان الحاج داود حريصا كل الحرص ان ينشأ أولاده الثلاثة كما نشأ هو ، يحبون التربة الحمراء ، ينعمون بسخائها ، ويسعدون ببركتها وخيرها ، وتزدهيهم شجرة البرتقال الخارجة من احشاء هذه التربة ، مكتنزة بورقها الاخضر المخملي ، مزهوة بكنزها الذهبي ، حريصة ان تترامى من حولها الظلال والافياء ، وان تظل دائما تنفث عبيرهـا يتضوع به الهواء ، ويشيع في الفضاء حتى يصل الى المدينة الساهرة في ليالي لهوها ، فتنعم بما لا تنعم به مدينة قط : تنعم بالطيب تنفحه شجرة البرتقال من مغارسها الخضيلة فتنام سكرى بشذاه ، وتستفيق اذا تنفس الصبح على عقبه المتأرجح لتستأنف الكد في ضجيج عيشها بين جنات البرتقال من خلفها وحمى العمل الموصول على شاطىء بحر الروم من امامها .

ولقد افلح الحاج داود فنشأ أولاده كما أحب لهم ان ينشأوا ، فاحبوا التربة الحمراء غاية الحب ، حتى لكأنها هي التي أنبتتهم ، فكانت لهم هذه السمرة المحببة ، وكانت لهم هذه القامات الفارعة ، وهذه السواعد المفتولة كأنها قدت من جذوع شجر البرتقال ، وكان لهم هذا البريق ينبعث من عيونهم كأنه رؤوس السهام .

ولقد استراح الحاج داود وقرت عيناه بفتيانه الثلاثة ، وحمد الله ، ووثق ان أرضه الطيبة ، هذه التي تنبت له كرات الذهب ، لن تضيع ابدا .

هل كان يخشى ان تضيع ؟ كان ذلك همه الخامر وشقائه الذي يرزح تحت ثقله قبل ان ينشأ اولاده على ما أحب لهم ، ذلك انه كان يرى بأم عينيه كيف كانت تضيع الارض الطيبة وتنتقل الى الدخلاء .

لم يكن الحاج داود يفهم شيئا كثيرا في السياسة ، ولكنه كان يؤمن بأن الوطن ارض .. ارض قبل كل شيء .. وعلى الاخص اذا كانت ارضا طيبة ، سخية معطاء كارضه وارض بلاده كلها ، وكان يؤلمه ويؤرقه الليالي الطوال ان يرى هذه الارض تذوب ، تضيع ، تذهب الى الدخلاء ، تذهب لكي لا تعود ابدا . كان يحس انه لن يتردد ابدا في ان يضحي بكل شيء ، بنفسه ، بماله ، باولاده ، في سبيل ان تبقى هذه الارض .. ان يبقى كل شبر فيها .. له .. ولقومه .. كان اذ يتحدث في هذا يتهدج صوته ، وتحمر عيناه ، وترتعش يداه !

ــ ليس في الدنيا كلها .. أرض .. كأرضنا !

ثم يلتفت الى ابنائه واصدقائه من حوله ويعود يقول وبين راحتيه حبة برتقال كبيرة ملساء غنية برحيقها :

ــ ولا بلاد .. كبلادنا .. اين الارض التي يخرج من احشائها مثل هذا الذهب ؟ وأين التربة التي تسخو بعناقيد العنب كما تسخو بها تربتنا ؟ انه ليس عنبا .. انه جواهر .. فكيف يبيعونها ؟ لقد فسق اهل هذا الزمان ... وضلوا ... فلا حول ولا قوة الا بالله !

وفي الواقع كان الحاج داود لا يجد اثما اعظم من ان يبيع الانسان ارضه .. ولمن ؟ لهؤلاء الغرباء .. الافاقين .. ان يتخلى عن ارضه هكذا .. وينفض منها يديه .. كمن لا تاريخ له في وطنه ، كمن لا ذكريات له تربطه بهذه الارض .. كان لم ينعم يوما بمائها وهوائها وظلالها وثمارها وخيرها كله ... كان يسميهم ــ هؤلاء الذين يهون عليهم ان ينفضوا ايديهم من تربة وطنهم ــ خونة ، منبتين .. وكان يقع في حسه انه اذا يتخلى الواحد منهم عن ارضه فقد تخلى عن عرضه .. ومروءته .. ودينه .. الى الابد ، ولهذا كله كانت نقمته منصبة على المدينة واهلها .. الملاك منهم على الاخص .. هؤلاء الافندية الذين يركبون السيارات الفاخرة ، ويسكنون القصور المنيفة ، ويجترحون ما حرم الله ... ان الكثيرين منهم يملكون الارض .. يملكون التربة التي تنبت ذهبا وجواهر .. ولا يثقل عليهم ان يبيعوها

(١) حياة الادب الفلسطيني الحديث : من أول النهضة ... حتى النكبة : بقلم الدكتور عبدالرحمن ياغي ، ص ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٩٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ .

لتمتلىء ايديهم بالمال يذيبونه على موائد خمرهم ، ومراح صبواتهم ، يتخمون .. وتتكرش بطونهم .. في حين يفتقر وطنهم ، ويتضاءل .. ويذل .. ألم يجلس الواحد منهم مرة في حياته في ظل وريف من ظلال شجر البرتقال ينعم بما أفأ الله على هذه الرقعة من الارض من خير وجمال ونماء وازدهار ؟ ألم تمتلىء رئتاه بهذا العبير يفيض على الدنيا بهجة وطيبا ورواء ؟ ألم يستفق في فجر يوم من ايام الربيع ليرى السماء والشجر والماء تتفتح للنور والضياء ، فينتشي الحس ، ويخشع القلب ، وتمتلىء النفس مهابة وجلالا وحبا لهذه الارض الطيبة؟

« انهم لا يحبونها .. انهم لا يحبونها ... لو احبوها ... لو عرفوا كيف ينعمون بخيرها وجمالها ، لو عرفوا كيف ينظرون بعيونهم الى عنقود العنب المكتنز بحباته المتلالئة بين اوراقه الحريرية ، لو عرفوا كيف ينظرون الى عرائشها وكرومها النائمة على صدور هذه التربة العطوف ، والى كرات الذهب تتوهج بين احضان امها شجرة البرتقال ... انهم لو احبوها لما فرطوا بها ولاطلعتهم على سر الجمال فيها ، ولاعطتهم من فيض خيرها وبركتها وسحرها ما يزري بمال الدنيا ومتاعها جميعا ! » .

بهذا كان الحاج داود يناجي نفسه احيانا كثيرة ، وعلى هذا نشأ أولاده . لقد علمهم كيف يحبون هذه التربة ، كيف يخلصون لها الحب .. وماذا كان في وسعهم ان يفعل اكثر من هذا ؟ كان يحزنه ان تفتك الخلافات بابناء قومه .. كان يفزعه ان يراهم يتناحرون فيمكنون بذلك للعدو الدخيل .. كان يريدهم جميعا ان يحبوا هذه التربة كما احبها هو وامثاله الذين يحسون انها قد انبتتهم حقا كما انبتت برتقالها وعنبها ورمانها وفاكهتها وشجرها جميعا .. وكان هذا الحب وحده ـ في رأيه ـ خليقا ان ياتي بالمعجزات ، ولكن ... ويصر الحاج داود عند هذا الحد من التفكير على اسنانه ، ويضغط شفتيه ، وتترقرق عيناه بالدموع ثم يرسلها نفثة حارة ويتمتم : « لا حول ولا قوة الا بالله .. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا » .

وفي الماضي ، في كل ثورة انتفض فيها وطنه المعذب ، بذل الحاج داود كل ما كان يدخل في طوقه ، جاهد بماله ، وجاهد بنفسه ، فخاض معارك ، وتعرض للاذى ، وسجن هو وابناؤه وهو راض ، قرير العين ، فكل شيء يهون في سبيل الارض الطيبة .. أم الخير !

وفي النضال الاخير ، على الرغم من شيخوخته ، فعل ما لم يقو عليه الا الاقلون . تلك الايام ، ايام النضال ، منذ اكثر من عام ، ما كان أعذبها واحلاها ، وما كان أشقها ايضا ، كان الحاج داود فيها على رأس نفر قليل من الرجال ، احتفروا الخنادق والاستحكامات على حدود « بيارته » في « أبو كبير » وأمامهم القسم الجنوبي من تلك المدينة البغيضة « تل ابيب » حفنة من الرجال الذين اخلصوا الحب للارض الطيبة ، وارخصوا الارواح في سبيلها .. كان الواحد منهم لا يفارق مكانه ، لا يترك استحكاماته ، ابدا وراء بندقيته ، في الليل وفي النهار يده على الزناد ، يطلق رصاصاته بحساب ... كانوا يشعرون ان ذخيرتهم قليلة ، شحيحة ، وكانوا يتلقون رصاص العدو ، رصاصه المنهمر ، ساخرين ، واثقين ان في استطاعتهم ان يردوا الوالفين على أعقابهم خاسرين ... حفنة من الرجال كانت تدك حصون الاعداء هناك دكا ... لقدكان صياح الجبناء يدوي في آذان الليل البهيم من الذعر وهم يتهاوون تحت انقاض حصونهم كانما كانت الارض تنخسف بهم .. حفنة من الرجال الصابرين المؤمنين ، كان يزحف بعضهم في جنح الليل يحمل الالغام ، ويجترح المعجزات .. لقد القوا الذعر في قلوب الجبناء ... واجلوهم الى داخل مدينتهم .. حفنة من الرجال كانوا كأنهم كألف بطل .. وكان الحاج داود على رأسهم ، وكان اولاده الثلاثة يجاهدون في خنادقهم مع الاخرين ، وراء بنادقهم ، في الليل وفي النهار ، أيديهم على الزناد ابدا .. يتربصون ويطلقون قذائفهم .. فلا تخيب ابدا ... تجد مستقرها دائما في صدور الاوغاد !

وذات يوم كان الحاج داود يطوف برجاله في خنادقهم واستحكاماتهم ، يشجعهم ، ويستثير هممهم ، في يده منديل فيه رصاصات قليلة يوزعها عليهم باسم الثغر ، متهلل الاسارير ، لا يفتر عن ذكر الله ، ولا ينسى ان يؤكد لرجاله ، الحين بعد الحين ، ان الذخيرة وفيرة ، وان الصناديق في بيته ، داخل البيارة ملأى بالرصاص الكثير ، وهو يعلم انها فارغة ، لا شيء فيها على الاطلاق ، وان كان كل ما يملكه من الذخيرة هو من هذه الرصاصات الشحيحة في منديله يوزعها عليهم في حرص شديد .. فيبدو عندئذ على رجاله انهم يصدقونه ويتلقون كلامه مستبشرين ، فرحين ، متهللين ، مكبرين .. في خنادقهم دائما ... وراء بنادقهم ابدا .. في ذلك اليوم كان بعض الجبناء من الاعداء قد تسللوا متلصصين عند حدود « ابو كبير » فأطلقوا رصاصهم وأرخوا سيقانهم للريح .. واستقرت احدى الرصاصات في صدر الشاب « علي » الابن الاكبر للحاج داود فأردته في خندقه .. شاهده ابوه يترنح وراحته على صدره ثم يسقط ، لم يقل الحاج داود شيئا .. لقد كان يتوقع هذا .. واكثر منه .. لقد وهب نفسه وابناءه لله ، وللذود عن الارض الطيبة .. لم يزد على ان رفع عينيه الى السماء وبسط راحتيه واختلجت شفتاه بقول الله : « ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » ثم أوعز بأن يحمل ولده ويجهز ويدفن .. وبقي هو مع رجاله في استحكاماتهم ، لم يتركهم ، لم يذهب ليدفن ابنه ، لقد احتسبه عند الله .. في سبيل الارض الطيبة .. وان وعد الله حق ... لم يبرح الحاج داود تلك الاستحكامات ، انه مع رجاله يطوف بهم ، يستنهض عزائمهم ، ويواسيهم بالكلمة الطيبة ، ويمسح عن قلوبهم الاسى والمرارة بابتسامته الوضيئة ، ويعطيهم تلك الرصاصات القليلة من منديله ، استطاعوا بها ان يلقوا الذعر في قلوب خمسين الفا من الاعداء في تلك الناحية ستة اشهر كاملة !

ماذا حدث بعد ذلك ؟ ان الحاج داود لا يكاد يفهم شيئا مما حدث ... كان يتوقع كل شيء الا ان ينزح الناس عن بلادهم وقراهم وبيوتهم ... كان يتوقع ان تزلزل الارض زلزالها وتخرج حممها وأثقالها ... ولا يترك الناس وطنهم وبيوتهم ، ولا ينبذون ارضهم ، الارض الطيبة السخية المعطاء ! .

(يافا) تلك المدينة الجبارة الشامخة ، ذات التاريخ الطويل في النضال المرير العنيد .. كيف تخاذلت ؟ كيف لفظت اهلها ؟ لكانما قاءتهم دفعة واحدة ، وألقت بهم في البحر ، وفي السهل ، وعلى رؤوس الجبال ، هائمين .. مشردين !

ما الذي حدث ؟ ما الذي حدث ؟ ان الحاج داود لا يكاد يفهم شيئا .. الا ان وطنا قد ضاع ، وارضا طيبة .. قد ذهبت .. ولا يكاد يفهم شيئا الا انه مشرد ، يحمل اسم « لاجيء » هذا الاسم البغيض .. كأنما حفرته يد القدر على جباه مليون من البشر بقسوة خارقة !

وفي ايام الشتاء الاخيرة .. كثيرا ما كان الناس يمرون في مدينة « اريحا » امام رجل قد علت به السن ، واتسخت ثيابه ، وبهت لون عمامته « الغباني » حول طربوشه ، واستطالت لحيته واغبرت .. رجل مسكين ، لا يذكر احد انه رآه يتكلم او يبتسم او يغير جلسته ... فهو ابدا جالس القرفصاء ، عند كوم من برتقال اريحا يبيع منه للمارة .. وفي راحة يده المعروقة المرتعشة ، برتقالة لا تفارقها ابدا .. يحدق فيها النظر من حين الى حين ، كالماخوذ بلونها الذهبي الفاتن .. ثم يتحسسها براحة يده الاخرى في كثير من اللطف والرفق والرقة !

انه الحاج داود يحلم ثمة بالارض الطيبة .. والفردوس المفقود !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

حسني غراب

بقلم شكر الله الجر

***

حسني غراب لؤلؤة من ذلك العقد المنفرط على شواطىء الاتلانتيك ، ولد في تلك الرقعة المباركة « حمص » مدينة ديك الجن ، التي انطلق من اعشاشها بلابل البيان لتغرد اغاريدها في شمال الارض وجنوبها .

فمن الولايات المتحدة الى البرازيل . من نسيب عريضة وندرة وعبد المسيح حداد في نيويورك . الى حسني غراب ونصر سمعان وميشال مغربي ونبيه سلامة وموسى حداد وسواهم في مدينة سان باولو .

هجروها وظلت قلوبهم ترف على ضفاف عاصيها ، وذكرياتهم تتطاير كأجنحة العصافير بين خمائلها وانغامهم تتجاوب بالحنين اليها . خفقت لهم أعلام في دولة القريض ما برح الزمان يلوح بها ، وطارت لهم شهرة ما برح النسيم ينشر عبيرها في سماء العرب .

وفيها يقول صاحب هذه الذكريات .

وما حمص الا باقة من قصائد ومن شعراء في البلاد تفرقوا
فمن عطرهم أنفاسها وعطورها ومن نورهم انوارها تتالق

وفي حمص يقول شاعر (الليالي الاندلسية) (١) ايضا من قصيدة استعرض فيها الى جانب النوابغ من ادبائها ذلك النفر المجلي في الغناء والموسيقى ممن حفلت بهم مجالس الطرب في المهجر البرازيلي .

يا حمص يا غادة الصحراء ما نقرت كف على الدف الا كنت رنته
ولا المغني على الاوتار ان جوى الى مغانيك الا كنت أنته
ولا تسلق يوما شاعر غرد مآذن الشعر الا كنت نغمته

وفيها يقول شاعرها حسني وقد هزه الحنين اليها :

أبعد حمص لنا دمع يراق على منازل ام بنا من حادث هلع ؟
دار نحن اليها كلما ذكرت كأنما هي من أكبادنا قطع
وملعب للصبا ناسى لفرقته كأنه من سواد العين منتزع

وهل ابدع واروع من (سواد العين منتزع) وهل يطمع فن الشعر بأجمل من هذه السبيكة الذهبية ؟

نأى حسني عن مغاني الميماس عام ١٩٢٠ مشمرا وراء الثروة في بلاد بعيدة ، فابتسمت له الايام في اوائل عهده وراح الحظ يرقص في ساحته ويمنيه بشمس السعادة تشرق عليه في دار غربته بيد ان الليالي ، وهي حرب على الادب والادباء ، لا يطيب لها عيش ان لم تر الشاعر يغص بلقمته ، وينام مروعا على وسادته ، فنكست لشاعرنا الحساس اعلامه وبددت احلامه ، واقامت بينه وبين الثروة سدا من اسلاكها الشائكة . على انه لم يرم سلاحه في المعركة الضارية ، معركة تنازع البقاء ، بل ظل يناضل ويناضل في سبيل افراخه الصغار حتى استقامت ساقهم واشتد ساعدهم فرمى بهم اشبالا في معترك الحياة ليثأروا لوالدهم من قساوة الاقدار وطالما سمعته يقول عن عبيد المال .

خلقوا للكسب لا يخشون في الكسب السماء
هم قساة القلب لا يرعون عهدا واخاء
وهمو ان يستطيعوا حبسوا عنا الهواء

تلقى حسني علومه في مدارس حمص ، فأتقن العربية وبرع في تأدية معانيه الفكرية في قوالب فصيحة جزلة . فهو من هذه الناحية على ما تشاء من صفاء الديباجة وعفوية الخاطر ، حتى لتخال وانت تقرأ شعره كأنما هذا الشعر نظم نفسه فانتظم أسلاكا من الدر على الطرس .

لم تهادن الايام حسني ليتفرغ للنظم ، وما كان (حانوته الصغير) يدر عليه الرزق الوفير ليعود الى هوايته الكبرى وهي الادب ، ولكن في هذا القليل الذي تركه لنا ثروة طيبة تعطيك صورة عن مدى تفكيره ورسوخ قدمه في صناعة القريض . وهو لا يضيره انه نظم في المناسبات، فلطالما اتخذ من هذه المناسبات وسيلة للانطلاق الى مواضيع سياسية ووطنية خطيرة . فأبدع واجاد حتى في معرض الرثاء ، كقوله في رثاء صديقه عقل الجر رحمهما الله :

الحمد لله لا هم ولا وصب نام العليل وألقى حمله التعب
ان الوجود الذي غادرته عدم والعامرات التي فارقتها خرب
والارض غاب مخيف وحشه بشر كم فيه مغتصب يحميه مغتصب
أظفاره بلهى الاحرار عالقة ونابه بدم الابرار مختضب

وانه لمن مفاخر الضاد ان يقوم لها في تلك المهاجر البعيدة من ينفحها بأروع الشعر على بعد ما بينه وبينها من وسائل الامداد الادبي الذي ينمي المواهب ويرسخ منطق اللغة .

كما اني لأعجب لمن يقرأون لشعراء المهجر ، لا سيما شعراء اميركا الجنوبية ، هذه الاصالة في كل ما دبجته اقلامهم من رائع المنظوم والمنثور ثم يقوم بينهم من يرمي هؤلاء الشعراء بالركاكة وسخف التعبير والخروج على اصول اللغة واساليبها وهم الذين جمعوا الى جدة المعنى فصاحة المبنى على سهولة وايجاز ، فلا تقعر ولا اجهاد ، ولا رمزية يكتنفها الغموض تتعب ولا توحي .

واذا كان قد عزي الى مدرسة الشمال شيء من الركاكة والاسفاف لدى بعضهم فلا يشمل ذلك شعراء الجنوب ولدينا منهم اقطاب حرروا الفكر نثرا وشعرا ،

(١) الليالي الاندلسية كتاب وضعه صاحب المقال عنوانه ليالي الاندلس لم يطبع بعد ..

قبلات على شفاه سمكة الريح

حين تبحث الاسماك عن شفاهها في قبلات الريح
ينصت البحر الى ذكرياته
والمجهول .. يسكن عظام الامواج المنخورة
بوجـع الرفض
من ليس لـه حـب
يفقد حالته في كأس الذاكرة
ومن هناك يعود الحنين « القوقازي »
الى أزقة القلب المسائية
ويغدو الشوق عاشقا مصلوبا في غرفة السماء
حيث سمكة مـا ..
تلتقي بلهفتها المزينة بالزهر

ـ ٢ ـ

جانب الوجه في الزجاج
والآخر في الحب
لـماذا جانب الوجه في الزجاج ،
والآخر في الحـب

ـ ٣ ـ

كان المكان بزرة للحظة الخلاص
كان الخلاص حقل انجم ـ
يشع في الميـاه
ورايـة الحنـين
مرفوعة ، تخفق فوق شجرة الاجاص

ـ ٤ ـ

صوتك عبر الهاتف نهر من زهر « الكاردينيا » .

وقصائد ربـان شاعر
أبحر في عينيك الحالمتين ذات مساء
لجزائر عشاق سحرتهم صحراء الحب
ومـا عــادوا
فامتلأت من عطر هواهم اشعارا
آفـاق الدنيــــا
وارتحلت افراسهم الاشياء

ـ ٥ ـ

مسافة الحنين يا حبيبتي وبينك
بحـيرة من الزمـن
تفرقنا .. ونحن يا حبيبتي على مقاعد انتظارنا
نمـوت يا حبيبتي
نعيش يا حبيبتـي بهـا
فتنبت الزهور يا أميرتي على شفاهنا
حقـلا مـن الحنان

ـ ٦ ـ

أهـواك على مهلي
حين يكون الحب مياها للحزن بعينيك
ومدا من غـير رجـوع
يسرقني الصمت اليـك
ويرميني في جفنيك الخضراوين
شراعا من غير قلوع

حلب

لؤي فؤاد الاسعد

وحلقوا فوق زمانهم واحداثه ورتلوا على مسمع الانسانية اناشيد الحكمة والفلسفة في قوالب خلابة من الجمال .

وما كان شاعرنا حسني الا واحدا من اولئك الذين انجبتهم المدرسة الكلاسيكية دوحة عالية في جبل الشعر، تتساقط من حولها اغصان واشجار متنوعة وهي علـى جلال مظهرها وصلابة عودها لا تهزها رياح .

ومن الشعر الكلاسيكي لصاحبنا حسني ، وهـو من السهل الممتنع ، وقد أخذ عليه بعض البخلاء بذلـه المال في سبيل المعوزين والفقراء على شدة حاجته اليه ، قـولـه :

يقـول لي البخيـل وقـد رآنـي ... اجـود ببعض مـا ملكـت يدايـا
« ألم تحسـب ليوم غد حسابـا ... ويـوم غـد محاط بالرزايـا
فقلت : صدقت واسترعيت سمعا ... لو انـك نـاصح بشرا سـوايـا
أتنهـاني عـن المعروف خوفـا ... على مـال تبـدده العطايـا
وحولـي من ضحايـا البؤس ناس ... تذوب لفرط شقوتهم حشايـا
أكنـت تلـج في عذلـي ولومـي ... لـو انـك بعض هاتيك الضحايا ؟

وله في عيد المولد النبوي الشريف :

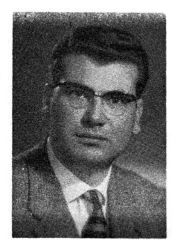
شعلة الحق لم تـزل يـا محمـد ... منـذ اضرمت نـارهـا تتوقـد
غمـر الارض نورهـا فاذا رمـت ... دليـلا فعـد الى الارض واشهد
جئت والنـاس في ضـلال وغـي ... ومـن الهـدي في يديك مهنـد

وانه ليغمرني السرور يوم أرى من اغنياء حمص من يجمـع هذه الدرر المتفرقة في كتاب . ولي في رثائـه قصيـدة جـاء فيهـا :

اذا زلت عـن دنيـاك فاترك لاهلها ... روائـع انغام تـدور مع الدهـر
ولم أر بين النـاس طـيرا كشاعر ... يعيش بأعمار النجـوم ولا يدري ؟

جبيل ـ لبنان

شكر الله الجر


عيسى فتوح

الحنين الى الوطن في شعر زكي قنصل

بقلم عيسى فتــوح

* * *

قبل ان اسمع بالشاعر زكي قنصل ، علق بذهني اسم اخيه الشاعر الياس قنصل ، الذي كان أسبق من زكي الى الهجرة بخمس سنوات .. هاجر الياس الى البرازيل سنة ١٩٢٤ ، لكنه ما لبث ان انتقل الى الارجنتين ، ثم لحق به زكي سنة ١٩٢٩ تاركين بلدتهما القلمونية « يبرود » ، وهناك زاولا تجارة الكشة حتى استقر بهما المقام في بونس ايرس .. وتشاء الظروف ان يعود الياس الى مسقط رأسه ، بقصد الاقامة في دمشق ، واذكر انه عمل محررا في جريدة « الشام » لصاحبها بكري المرادي، وفيها تعرفت اليه ، حيث قدم لي كتابيه « رباعيات » و « فلسفة حمار » . وتمضي الايام ، فتتوقف جريدة « الشام » عن الصدور ، ويعود الياس الى المهجر ثانية ، لان مطامحه الصحفية والادبية وربما المادية لم تف بها مدينة كدمشق !

وفي العام الماضي وصلني كتاب بعنوان « زكي قنصل شاعر الحب والحنين » تأليف الاستاذ عبداللطيف اليونس ، مهدى بتوقيع الشاعر زكي قنصل فاستغربت الامر اولا ، ثم فهمت انه اهتدى الى اسمي بطريق صديقه وصديقي الاديب يوسف الصارمي صاحب مجلة «المواهب» في الارجنتين ، ونزيل دمشق حاليا .. ومنذ شهرين فوجئت بشخصية الشاعر قنصل على شاشة التلفزيون اللبناني ، اذ قدمه سفير المهاجرين في لبنان نجيب حنكش الى الجمهور ، في مقابلة استمرت بضع دقائق ، وهو في طريقه الى بونس ايرس ، بعد ان اقام في الوطن حوالي شهرين ، أشرف فيهما على طبع ديوانه الاخير ، وبذلك حقق اغلى امنية كانت تضطرم في نفسه ، ألا وهي رؤية الوطن الام الذي ظل طوال سنوات الاغتراب يهفو اليه ، ويحن الى جلسة هادئة في ربوعه ، يجلو بها صدأ النفي والتشريد ، ويسترجع عهود الصبا ، وذكريات الشباب في الربا الخضراء ، والسهول المرعة ، يغفو على الشوك ، فالقلب خال من الهموم والوساوس ، فنراه يضبط كل قادم اليه لانه حقق امنية العودة ، وتمنى لو يكون رفيقه يشاركه غفوة تحت عرائشه الخضر ، ويشم بصحبته اريج ارض النبوة المعطار ، ارض بلاده :

أيها العائدون للشام هلا نفحة من شميم ارض النبوه
علم الله كم صبونا اليها واشتهينا تحت العريشة غفوه

هكذا يهتف في اكثر من قصيدة : أيها العائدون ..
يا عائدين الى الربوع .. متى يسالمني الزمان فأرجع ؟

ففي قصيدته « يوم الرجوع » يحدثنا حديثا طويلا يبسط فيه مشكلة قلبه الذي ابتلاه الله بفرط الاحساس، فهو ابدا يتحرق للعودة .. انه لا يفتأ يزعجه ، كلما خفف من غلوائه ، وكفكف من حدة ثورانه عاد فعربد بين ضلوعه بعنف ما بعده عنف ، حتى حرمه شهي النوم ونغص عليه لذيذ الكرى .. كانت الدموع ملاذه بادىء ذي بدء يتقع بها غليله ، ويبرد احشاءه الحرى ، فجاء حين صارت الدموع لا تجدي فتيلا ، يسخر منها ، ويهزأ بها :

يا عائدين الى الربوع قلبي تحرق للرجوع
نهنهته فازداد تحنانا وعربد في الضلوع
لا يطمئن الى الوساد ولا يقر له ولوع
كانت تسليه الدموع فصار يهزأ بالدموع

كانت الغربة تقسو عليه احيانا ، تصفعه بقبضتها الحديدية ، تكشر له عن وجهها الحالك الكئيب ، فتكسبه شيئا من السوداوية والتشاؤم ، حتى تستحيل حياته قنوطا وياسا وتجهما ، زايلها الايناس وخالطتها العتمة الكالحة ، فاذا قلبه كهيكل قديم مهجور ، لا شموع تضيء ارجاءه ، ولا نوافذ توصل اليه حزم النور :

ولت ليالي الانس وانطفأت بهيكله الشموع

ويهتف عندما يرى مناديل المسافرين تلوح بالوداع، ان قلبه ظامىء للعودة ، فهيا احملوه معكم ، ان كان ثمة مجال ، ولكن هيهات .. لقد أقلع الركب وخلفوه وحيدا على شاطىء الاغتراب ، يحزم امتعته ، ويمني قلبه بالعودة السريعة ، ولكن الامنيات العذاب كثيرا ما كانت تتلاشى فيعود الى امتعته يحل وثاقها قطعة قطعة ، ويفردها بانتظار موجة جزر ثانية :

يا عائدين الى الحمى قلبي به عطش وجوع
بالله هل في الركب متسع للهوف ولوع

عزاء قلبه ان يرى رفاق الغربة حوله يؤاسونه ويعزونه ، فاذا ما رآهم يهمون بالاياب ، هبت ذكريات الدار من غفوتها ، فتراخى قلبه المتماسك المتذرع بالصبر ، وراح يندب حظه السيء الذي قاده الى تلك الدنيا الجديدة التي نما فرعه فيها ، اما أصله وجذوره فما تزال ضاربة في أرض الوطن الام .. ان حاله تدعو الى الاسى : تارة يحزم أمتعة السفر ، وتارة يحلها ، تارة يعقد حبل الرجاء ، وتارة يفكه في دوامة لا تنتهي :

ويح الغريب يعيش في حلم   ريان يملأ نفسه كمدا
حبل الرجاء يظل يعقده   ويحله ما قام أو قعدا
الفرع يربطه الى بلد   والقلب يعبد غيره بلدا

انه يعبر بمنتهى الصدق عما يراود نفس الغريب من آمال عريضة ، واحلام فضفاضة ، الا انها لا تعدو ان تكون مسكنات تهديء نوبات الحنين .. سعادته الحقيقية ان يظل في وطنه بين اهله وعشيرته ، اما سعادة الاغتراب فسعادة زائفة مزعومة ، تحمل في طياتها الف لون من الوان التعاسة .. هي القنوط الذي يرافقه كظله .. هي انطفاء الامل ، وقد تجسما في عبارة « ويح الغريب » التي لا يفتأ يرددها في اكثر قصائد الحنين :

ويح الغريب على الاشواك مضجعه   وخبزه من عجين الهم والتعب
يعيش عن ربعه بالجسم مفتربا   وقلبه وهواه غير مفترب
يستقبل الليل لا تغفو هواجسه   ويوقظ الفجر في ليل من الكرب
موزع الروح احساسا وعاطفة   مقسم الفكر في بعد وفي قرب
يا غصة في لسان الشاعر انعقدت   من ذا يحل لسان الصادح الطرب

لقد كان يكتفي بعبارة « ويح الغريب » في بيت من أبيات القصيدة من قبل ، اما وقد استبد به الشوق ، وجاش في صدره الحنين فما عادت العبارة الواحدة تمتص دفقة العاطفة ، وتصمد على الوقوف في وجه السيل الهادر .. فانقلبت العبارة قصيدة وصار البيت مجموعة ... ففي قصيدة « ويح الغريب » نراه ينهار ويهوي ، تخونه القدرة على التحدي ، يذوبه الحنين فيتهالك ، وتتدحرج على لسانه الفاظ الغربة ، الذكرى الوادي ، النازح ، الحنين ، الرجاء الرجعي ، الاماني ، يتوكأ عليها لتوصله الى قمة التجربة الشعرية لتقوده الى نهاية المرحلة الا وهي افراغ مكنونه العاطفي :

ويح الغريب اما تكفيه غربته   حتى تجرحه الذكرى وتكويه
اكلما شام من واديه بارقة   هفا وصفق تحنانا لواديه
الله في نازح أودى الحنين به   لولا بصيص رجاء في دياجيه
يعلل النفس بالرجعى ويخدعها   فهل تحقق بالرجعى أمانيه

حنين زكي قنصل للشام حنين جبران لبشري ووادي قاديشا ، حنين نعيمة لصنين ، حنين رشيد ايوب لموقد النار والثلوج والناطور والراعي في بسكنتا ، حنين كل مغترب الى مسقط رأسه ومرتع صباه ومهوى احلامه .. وهو يرمي من وراء الشام الى بلدته الهادئة الوادعة الرابضة على كتف جبال القلمون ، الى يبرود التي لا تمحي

بالزمان ، ولا يقيم لغدره وزنا .. يسرح في الحقول كفراشة هائمة ، ويتسلق الربا يسوق خطاه المرح وينام على الاشواك فلا يحس بوخزها لان قلبه خال من الوساوس والهموم ، مشغول بأحلامه العذبة ، وامانيه الوارفة :

هاضت جناحينا العشية صرصر   وتقاذفتنا في السباسب زعزع
لهفي على العهد الذي لا تمحي   ذكراه من نفسي ولا هو يرجع
غمرت حواشيه البشاشة والندى   وتألقت فيه النجوم اللمع
أيام نهزأ بالزمان كأننا   في مأمن مما يكيد ويصنع
نغفو على الاشواك ملء عيوننا   أمن الفؤاد فكيف ينبو مضجع

ما ان يهم الاديب الشاعر يوسف الصارمي صاحب مجلة « المواهب » بالعودة الى سورية ، حتى نراه يزف التهنئة لابنتيه الطبيبتين سعاد وسوزان ، رغم ان العودة لم تتحقق بعد ، ويسأل نفسه هل يأتي يوم يحمله جناح طائر الى الوطن ، فحياته الباقية ستمر ضياعا وتنقضي عبثا .. ولا يكتفي بأن يحث نفسه على العودة بل يوقظ بقية المهاجرين من سباتهم ان هيا عودوا مدوا ايديكم الى الشام ما دامت الشام قد مدت لكم الايدي ، تفتح صدرها لاستقبالكم ، وتفرش الرياحين تحت اقدامكم :

يهنيكما ان صح حلمكما   أيجيء دوري أم أعيش سدى
الشام مدت للبنين يدا   هيا نمد الى الشآم يدا
قولا لها انا على سفر   بالروح ان لم نرتحل جسدا

وكثيرا ما يسأل مرددا عبارته المأثورة : متى يسالمني الزمان فأعود :

فمتى أعفر في ترابك جبهتي   ومتى يسالمني الزمان فارجع ؟

ولا يكاد الدكتور احمد سليمان الاحمد يعلن نبأ عزمه على الاياب حتى يقيم له المغتربون حفلة وداع وتكريم ويقف زكي قنصل يبث المودع لواعج حنينه ، وتباريح اشتياقه للشام .. فما هو الا حسون من حساسينها قذفت به كف النوى ، فابتعد وهو يأبى البعاد ، وهام على وجهه في ارض الله الواسعة ، ولكن البعد لم ينسه الشام ابدا ، بل ظل مقيما على حبها ، يناجيها فؤاده المؤرق ، ويحلم بها خياله النائم :

شاعر الزهر والندى خشع والركب   فهلا وقفت فيه اماما
هاجنا الشوق للشآم فكبر   ثم كبر اذا ذكرت الشآما
نحن من روضها حساسين ذرتها   رياح النوى فهامت يتامى
هي نجوى الفؤاد ان سهد الجفن   ورؤيا الخيال ان هو ناما

ان حنين زكي قنصل مرتبط كل الارتباط بعاطفته الوطنية ، يشارك الشام افراحها واتراحها ، فلا تنوب نائبة ، ولا يلم خطب ، ولا تحل مصيبة حتى نجد صدى لذلك في شعره .. انه ، وهو البعيد في مغتربه ، رسول امين لامته يفاخر بها ، ويتغنى باسمها أمام القوم ، يشيد ببطولاتها . يمتدح جمالها ، يصف حسنها وبهاءها ورواءها ، كيف لا واهل الشام ملاذه ، ركنه الركين الذي يحتمي به في الخطوب ، واظفاره ، وسلاحه الماضي ، كيف لا وبينهم قد ترعرع وشب ، وبينهم نمت شهرته

دعوني طليقاً

اذا ملك اللب الكناري ما شدا … وشنف سمع الناس ، وهو اسير
دعوني طليقا ، أقيض العيش مرهقا … بكد يميني ، والفراش حصير
وقوتي ـ دون الناس ـ خبز أسيفه … قفارا ، وكوخي واهن وحقير
فلم تحصد الادواء الا ذوي الغنى … ولم يحمهم مال طما ، وقصور
وحسبي أني أشرب العز صافيا … من النبع كالبلور ، فهو نمير
وعيش سراة الناس رنقه الاسى … وصافيه ـ عند العارفين ـ كدبر
فان سجين القصر يشرب همه … ويزعم ان السعد فيه كثير
وكل حياة المرء ـ دون كرامة … وحرية تبني الفخار ـ قشور
اذا كنت لم تبذل من الوجه ماءه … لتدرك ما تبغي ، فانت أمير
وان بات من نظم الاله خلائق … تفاعيل اعجاز ، فنحن صدور
فما الشعر الا قمة سرمدية … تحط عليها للقريض نسور

صيدا — **محمد العدناني**

واستطارت :

غصص الحنين وذكريات ألدار … حثت خطاي وارهفت أوتاري
انا ان شكوت فدمعتي من جفنكم … واذا شدوت فصوتكم قيثاري
مرحى بين امي لانتم مفزعي … في النائبات وانتم اظفاري
في ظلكم نبتت خوافي شهرتي … وزها جناحي واستطار غباري

ويتمثل الشام اما رؤوما عطوفا بارة نثرت فراخها تحت كل كوكب ، فاكسبتهم الغربة الصلابة والقوة والاعتداد بالنفس ، وعندما طلبت اليهم العودة عادوا أسودا ابطالا يملؤون السهول والجبال ليأخذوا قربها قسطهم من الراحة بعد العناء الطويل ، ومن السعادة بعد الحزن ، ومن الدعة بعد الشقاء . ورغم ان تلك الام فرشت في دروبهم اهداب عينيها ، وانزلتهم في السواد من قلبها ، الا انها قلقة من عودتهم ثانية الى مهاجرهم ، وبذلك ينقلب فرحها ترحا ، وسرورها الما ، يقول في قصيدته « حماة العلى » :

عاد البنون الى حضني فواجذلي … يا دمعة اليأس هلت بسمةالامل
تلك الفراخ التي اطلقتها زغبا … عادت قشاعم ملء السهل والجبل
فرشت اهداب عيني في دروبكم … فيا حماة العلى سيروا على مهل
واسترجعوافي جواريبعض ماأكلت … منكم ليالي الاسى والكد والعمل
اني لاخشى وقد انزلتكم كبدي … ان ينتهي بفراق اخر جذلي

قلت ان الشاعر زكي قنصل كان وهو البعيد عن مسرح الاحداث الوطنية ، مرآة تعكس كل أرق يقض مضجع بني أمه ، وكل هم يساورهم واضطراب .. لم يعش في منأى عما اصابهم ولم يصم أذنيه بل ظل عينا ساهرة تنهل عبراتها اذا ما دمعت عين الشام . وتتفجر حقداً ونقمة وكراهية اذا ما مسها طيف اذى .. ولا يقف عند هذا الحد بل يعتب كل العتب على شعرائها المقيمين الذين لم يلتزموا بقضايا أمتهم ، فانصرفوا عنها الى اللهو والخمرة والغزل والوصف :

يا شاعر الشام قلب الشام مضطرم … وقلبك لاه بابنة العنب
لا حور دمر مياسا كعادته … زهوا ولا بردى سكران من عجب
هل أرق الشام طيف لم أحس له … فيمهجتي مثل حز الصارمالذرب ؟

هذا بالنسبة لاحداثها المؤلمة وخطوبها الملمة ، ولو رحنا نبحث في شعره عن الوجه المقابل لرأيناه اول من يطرب لكل انتصار يحققه اهل الشام ، يفرح لكل مأثرة ، ويبتهج لكل عمل خالد جبار .. ثم يحمل ذلك كله ليزرعه في صميم الاذان غير الواعية ، فاذا بها تصيخ في دهشة وتشاركه البهجة والزهو والاعجاب والتقدير :

وهل تلألأ في آفاقها أمل … الا تثنيت من زهو ومن طرب
حملتها نغمة في القلب راقصة … ورحت ازرعها في مسرح الشهب

كلمة اخيرة ، ترى لماذا عاد الشاعر زكي قنصل الى المهجر ثانية بعد ان حقق أمنيته الغالية الا وهي رؤية الوطن الام بعد الغياب الطويل ؟ ربما أحس في قرارة نفسه انه لو بقي لفقد اهم عنصر من عناصر شعره ، ولخسر ابرز مجال من مجالات النظم .. فهل ثمة حنين للديار والشاعر في قلب الديار ؟ ان نظرة المقيم لمدينته أو قريته او بيته او اهله تختلف كل الاختلاف عن نظرة النازح الواجدة ، خاصة والغربة ترهف الاحساس ، وتؤجج العاطفة ، وتلهب الشوق .

اللاذقية — عيسى فتوح

في دياجير اليأس فتاة ! .. فتاة أعرف عن يأسها اكثر مما أعرف عن ملامحها وطباعها . انه ذلك اليأس الذي يزرع الحقد والبغضاء . وقد دفعها يأسها الى الحقد على الناس جميعا . كما كفرت بالحب اعتقادا منها بأنها لم تخلق له أو ظنا منها انها ليست جديرة به .

في دياجير اليأس فتاة ! .. هنالك فتيات يائسات مثلها ، لكنها استرعت انتباهي بقصتها الدامية وتصرفاتها الغريبة والالم الذي ينضح من اعماق فؤادها فيدميه .

في دياجير اليأس فتاة ! .. اماتها اليأس لولا قبس من نور الهدى اضاء طريقها وشع في صدرها الايمان بالله ، فكان ملاذها تلجأ اليه في لحظة ضعفها ، وكان الايمان حصنا حصينا وقاها شر أفكارها الغريبة التي كثيرا ما تقلقها في صحوها ومنامها والتي تتمثل في الشروع في الانتحار . لكنها تخاف الله وتخشاه ، فتعاتب نفسها بقسوة ، ان الانتحار كفر والحاد ، هكذا قرات .. وان الايمان بالله هو الذي يجبرها على التجلد والصبر ، لكنها كانت حطام جسد منهوك . وعاشت حياتها في انتظار امل قد يلوح فجأة ، لكن الانتظار يطول بها ، ويصبح ما تتمناه اضغاث احلام . ولم تعد ترى في حياتها شيئا جميلا ، وانما تتضاعف النكبات والمصائب ، حتى شعرت بثقل الايام ، ولم تعد تجد في التجلد والصبر أي عزاء .

في دياجير اليأس فتاة ! .. اسميها اليائسة ، لكنها تصر على ان تصف نفسها في مذكراتها بأنها « بائسة » . ورغم ان هناك تقاربا ما بين اليأس والبؤس ، الا ان كلا منا تختلف نظرته للامور ، فهي تعيش في يأس مميت ، لكنها تشعر انها وحيدة طريدة ، ومن هنا يجيء لها معنى « البؤس » الذي ترردده في مذكراتها . وحين استرجع انا قصتها اجد انها تعيش في دياجير اليأس المميت ، ذلك اليأس الذي ليس وراءه ثمة امل .

في دياجير اليأس فتاة ! .. لا تعرف في حياتها سوى البؤس والشقاء . ولم تشعر في يوم ما بطعم السعادة . منذ ان وعت الحياة وهي تلازم الشقاء والضنك والحرمان ، فلقد حرمها الطلاق — ذلك الشيء البغيض — من حنان الابوين . ولقد عاشت مع أمها المطلقة ، لكن الام لم تعوضها عن حنان ابيها الذي افتقدته ، بل زاد الطين بلة فالام تعمل مربية في احد



بقلم حسني سيد لبيب

بيوت القاهرة ، ولا تراها الفتاة الا مرة كل اسبوع . فلم تهنأ بالنوم في حضن امها ولو ليلة واحدة . نشأت منذ نعومة اظفارها محرومة من الرعاية والحنان . حتى مرح الطفولة شاء لها القدر ان تحرم منه . كانت صغيرة — حين تم الطلاق — لكن ذلك لم يمنع ادراكها الضئيل من ان يعي كل ما يدور حولها ، حتى باتت تعتقد انها الفتاة الوحيدة التي ابتليت بالحرمان .

كتبت ذات يوم في مذكراتها :

« رمى بي الدهر في الطريق أصطدم بأحجاره ، وما ان أترك حجرا حتى أتعثر في غيره ، حتى انهكت قواي والفيت نفسي في طريق الحياة ملقاة كالجيفة النتنة » .



تركها الدهر وحيدة بين زوجة خالها التي لا يعرف قلبها العطف او الشفقة ، كانت فظة القلب تكثر من ايذائها بينما الفتاة مستسلمة في يأس مر قاتل . وكان خالها اكثر فظاظة من زوجته واعنف ايلاما . وظلت المسكينة تكبت احزانها ، وطوت في حناياها شعورا بالمقت والكراهية لهذه الحياة الشقية ، لكن قبسا من الهدى جعلها تتحمل وتصبر ، وكلما راودتها فكرة الانتحار تراجعت خائفة وهي تستغفر الله .

وازاء ما هي به من شقاء وعذاب ، تولد في اعماقها حقد وكراهية ، حقدت على الناس وكرهتهم . وتولد في اعماقها احساس بأن كل الناس اعداء لها ولا يريدون لها خيرا او تفوقا . احست ان الناس ينتقمون منها ولا تدري الوازع الذي يحفزهم على هذا الانتقام .

ثم اخذ الدهر يهزأ بها ، وتسخر منها الاقدار . وتضاعفت احاسيسها الغريبة تجاه الناس فتملكتها الامراض النفسية والجسمية ، لكنها ناضلت في صمت ، وجاهدت بشجاعة .

وفي لحظة أمل باهت ضعيف راود مخيلتها ، صممت فتاتنا على ان تكرس كل وقتها للمذاكرة دروسها ، وايقنت ان هذا هو السبيل الوحيد لتناسي نوائب الدهر . لكن اجازة الصيف سرعان ما تجيء ، وتتزاحم معها احزانها وتتوالد همومها ، فكان لشدة ما كابدت من الالام والعثرات ان دفعت ثمن ذلك من صحتها ، فظلت تنزف دما سنة كاملة . قضت سنة مع العذاب ، ومع شبح الموت الذي لازمها كظلها وذاقت منه كؤوس الضنا والخوف . لكنها تتحامل وتصبر على ما شاء الله ان يبتليها به . ثم جاء حكم الاطباء بعد هذه السنة الدامية ، قرر الاطباء

رسالة

بعد لأي .. رسالة قد أتتني خلت ان الحياة ردت اليا !
بسمات الشباب طي كياني كالربيع المعطار رفت عليا
ما أظن النشور الا اشتياقا في ضمير التراب يبعث حيا !

حلب علي الناصر

ازالة الكلية اليسرى . وفعلا ازيلت وتوقف النزيف ، ولكن ظل الجرح سنة كاملة يفتح ويغير ثم يلتئم عدة مرات والفتاة تكابد الالام المبرحة والتي أثارت الجميع بالدهشة .

تبكي في غرفتها شبابها الذي يولي الادبار دونما بسمة فرح تطوف في سماء حياتها الحالكة السواد . وفي لحظة يأس مميت تسأل نفسها : علام يبتليها الله والى متى تتحمل ؟! لكنها تعود الى سيرتها الاولى ، تحمد الله وتناجيه . فكان ايمانها هو المنقذ من افكارها الغريبة ، ومن فكرة الانتحار التي تراود مخيلتها مرارا .

بعد ان اتمت الدراسة الثانوية بتفوق ، التحقت بأحد المعاهد العالية بالقاهرة . عاشت مع جدتها ، والفت وجودها معها . وبرغم انها لا تميل اليها ، الا انها قنعت بهذا الوضع ورضيت به . وان الضرورة تميت الرغبة ، وقد كانت الجدة ضرورية لها حيث يتعذر لها ان تقيم في غرفة وحدها ، كما ان جدتها كانت تجهز لها حاجياتها وتعد الطعام . قامت الجدة بكافة الاعمال المنزلية وتفرغت الفتاة للمذاكرة . وما فعلت الجدة ذلك الا بناء على توصية من الام . لكن الفتاة تفاجأ بتآمر الجدة مع خالها الجشع كي يهضموا حقوق والدتها في ارث أبيها . وامها لا تراها الا يوم الجمعة من كل اسبوع . وكان يبدو عليها الانهاك والتعب ، فتكبت الفتاة آلامها ، ولا تبث الام شكواها . ان الام لا تستطيع في ساعات قليلة من كل اسبوع أن تبذر في قلب ابنتها بذور الحنان والرعاية ، واعتمدت في ذلك على الجدة التي ما كانت ترضيها تصرفات حفيدتها ، وكانت تعيب عليها تصرفاتها وتنتقدها مرارا ، حتى لم تعد الفتاة تستبين الحسن من السيء ، ولا الجميل من القبيح . وسرعان ما أحست الفتاة بأن الجدة تكرهها وتمقتها .. الهي ! .. ما أبخس هذه الحياة ! . لقد أصبحت الجدة عقبة كأداء تقف دون رغباتها .

اتمت العذراء الواحد والعشرين من عمرها البائس ، الا انها احست بانزوائها عن زميلات الدراسة ، ولاحظت توتر اعصابها لكنها لم تستطع التغلب عليه ، بل كان احساسها بذلك عاملا مضاعفا . وازدحمت اعماقها باحساس مر اليم الا انها تتناساه وتذكر الله ورحمته ، فهو ملاذها حين لا تجد من تلوذ اليه . وتنازلت وهي راضية قانعة عن مطالبها كفتاة في ربيع عمرها ، وتغاضت عما تصبو اليه كل فتاة في مثل سنها .

تكاد تضيق بها حلقة الحياة ، وتكاد تحس ان لا احد يقف بجانبها ، ولا احد يؤازرها .. ان العائلة كلها تعتقد انها « فتاة نحس » . ان كل ما يصيب العائلة من احداث اليمة ، يرجعونها الى « النحس » الذي حل عليهم .. ولا تدري لماذا هي « فتاة نحس » ؟ .

ان الام — وهي الملاذ الاخير — لم تعد في الاونة الاخيرة تحتمل كلماتها . اصبحت تضيق بتلك الكلمات .. اصبحت الفتاة تجد مشقة بالغة في التنفيس عن المها المكبوت ، بعدما لمست تحول الام اخيرا الى الجهامة والضيق ، حتى اذا ما شكت لها معاملة الجدة القاسية ، تصلها كلمات امها في لهجة تهديد واسكات :

— قولي لي عنوان ابيك وانا ارسلك اليه ! .

فتخرس المسكينة ، تحبس بقايا الكلمات .

لكن الفتاة تعذر الام ، وترجع سلوكها هذا الى ما تعانيه من انهاك في عملها، وعدم احساسها بالراحة، ثم سرعان ما يتسرب احساس اليم حاولت في اول الامر ان تداريه لكنها في النهاية وجدت ان لا مفر من الاعتراف به ، احساس بالمقت والكراهية باتت تواجه به الام ، المرفأ الاخير لها في الحياة . لقد بدات الام تغلظ القول معها وتكاشفها بانها ليست جميلة . كما انها لا تتحرج في البوح لها بأنها لا تتصرف مثل بنات سنها ولا تحاول ان ترتدي ثيابا تجملها .

وتسود الدنيا في عيني الفتاة ، وتتخبط في دياجير اليأس . ومن جديد تراودها فكرة الانتحار ، لكنها تخاف الله كل الخوف، فتتراجع في وجل وتبتهل الى الله ان يرحمها مما تكابده من آلام مبرحة .

انها تؤمن بالله ، فتصبر وتترقب الايام عساها تمن عليها بأمل قريب ، اي امل ، ومن أجله تعيش ايامها الكئيبة .. وتظل تنتظر ذلك الامل . ان الايمان بالله جعلها تنتظر وتنتظر .. وستنتظره مدى عمرها الشقي ، انه امل بالحياة الحلوة الكريمة .

فيا لها من حياة ، ويا له من امل ! .

القاهرة حسني سيد لبيب



ديـوان الوطـن المحتـل

جمع وتقديم يوسف الخطيب ـ ٥٦٠ صفحة ـ منشورات دار فلسطين للتاليف والترجمة والنشر ـ مطبعة (؟)

عودنا الاستاذ يوسف الخطيب ان نسمع صوته في كثير من الاحيان ناثرا ، كما نسمعه شاعرا . وحين قرأنا له « عناصر هدامة » كان نثره في مجال القصة الصغيرة ، اما اليوم فقد طالعنا بشيء جديد هو مقدمته لديوان الوطن المحتل التي ربما اسميناها نقدا لو سمح لنا بذلك مؤلفها .

وادبنا هذا لا يخرج عن حدود النكبة التي تفطي وطننا العربي على سعته ، الا وهي نكبة فلسطين ، رغم ما يظنه الكثيرون من بعد عن مجالاتها لكونهم لا يحملون الهوية الفلسطينية . فالحانه الشعرية لا تصدر الا من اوتار المنكوبين ، وقصصه القصيرة لا تخرج عن عرض لبعض آثار هذا البلاء . والشعر الذي يقرأه ويحلله ويعلق عليه انما هو نتاج ابناء المنكوبين . وهو في مقدمته يقف على صميم فوهة هذا البركان الذي اخذ يقذف بحممه منذ ان ظهرت البوادر الاولى لكارثة فلسطين .

جمع كاتبنا بين دفتي الديوان شعرا لشعراء فلسطينيين من داخل الارض المحتلة ، وهؤلاء الشعراء هم : (محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، سالم جبران ، راشد حسين ، عصام العباسي ، سليم يوسف جبران ، نايف صالح سليم ، حبيب زيدان شويري ، شادي الريف) وكان يقدم لشعر كل شاعر ببعض الكلمات الموجزة ، كما قدم للكتاب بمقدمة تصل المئة صفحة وانني في سبيل عرض ملخص لما احتوته هذه المقدمة من افكار .

بدأ يوسف الخطيب مقدمته بالاشارة الى انه كتبها قبل الخامس من حزيران ، ثم تبين لنا ان هذا الشعر الذي ضمه الديوان لم يكن احد يعرفه خارج الوطن المحتل قبل عام (١٩٦٤) حين انشئت اذاعة فلسطين من دمشق واخذت تطلع مستمعيها على بعض هذا النتاج .

ثم عبر بصراحة عن اعتقاده بانه لا يملك الهدوء الكافي الذي يمكن ان يسمح له بكتابة مقدمة حيادية بالنسبة لهذا الموضوع . بالاضافة الى انه ليس متخصصا في الدراسات الادبية . ثم انه لا يحبذ السير على مناهج نقدنا القديمة ، وبعض الحديثة المعروفة ، بسبب المآخذ الكثيرة التي يسجلها عليها . ثم طلب من النقاد بحرارة واندفاع الا يطبقوا مبادئهم النقدية على مثل هذا النوع من النتاج الادبي للمنكوبين.

ويقسم الكاتب بعد ذلك الفلسطينيين من حيث اقامتهم الى قسمين : قسم يسكن المنفى وهم اللاجئون الى البلاد العربية ، وآخر يسكن المعتقل أي المقيم في الارض المحتلة . وبعد ان يشير الى بعض ما يأخذه على الحكومات العربية في معاملتها للاجئين وفي تحديد اقامتهم ، ينتقل ليتحدث عمن هم داخل الارض المحتلة الذين يعيشون ابشع حياة عرفها انسان ، واملهم معلق فيمن هم خلف الحدود دون جدوى . ولا يجدون امامهم الا سعي اسرائيل الحثيث الى ابادتهم .

وينتقل الكاتب في فصل جديد من المقدمة الى الحديث عن الكاتب العربي بشكل عام ، فيصفه بفقدان الذات والذاكرة ، ويعيب عليه بعده عن قضية وطنه الاولى فلسطين واهماله لما يعانيه اخوانه فلسطينيو المعتقل داخل الوطن المحتل من كبت واضطهاد وابادة ، ملتفتا من وراء كل ذلك الى القضايا العالمية سعيا وراء الشهرة او وراء جائزة نوبل يحلم بها .

ثم يباشر الحديث عن الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة والبيئة العامة التي تحيط بها ، فيعطينا ملامح متنوعة للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها اخواننا هناك محاولا عكس تفاعل هذه الجوانب المختلفة مع الحركة الشعرية لديهم . فهو يذكر مثلا تنبه الشاعر سالم جبران الى الالعاب التي راجت في اسواق الارض المحتلة ، والتي غايتها اشباع صغار الصهاينة بمبدأ ضرورة ابادة العرب (ادفع دولارا تقتل عربيا) . ويقف عند اشارة سالم الى الاضطهاد النازي الذي اصاب اليهود ، فيحاول تحليل هذه النقطة وهي ، ربط الاديب العربي دوما بين اضطهاد اليهود لاخوانه العرب ، واضطهاد النازية لليهود ، ويعلن الكاتب ثورته على هذا الربط بين الظاهرتين من قبل ادبائنا في حين ان ادباء العالم لا يقابلوننا بالمثل ولا يربطون الاضطهاد النازي لليهود باضطهاد اليهود للعرب . واذا اغتفر مثل هذا العمل لادباء الارض المحتلة نظرا للظروف القاسية التي يعيشونها فانه لا يغتفر ابدا للادباء الاخرين الذين يتوجب عليهم جعل مآسينا وحدها محورا للحديث .

ثم يقف يوسف الخطيب عند محاولة الصهاينة اذابة العنصر العربي المتبقي في فلسطين ، على قلته ، وذلك باحدى طريقتين : اما النبذ خارج الحدود ، او الاذابة داخلها . وتتم الطريقة الثانية بالقتل او بترسيب هذه الاقلية في قعر المجتمع وفي ادنى مستوياته .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى ظاهرة ارتباط الفلسطيني بأرضه وقريته ، ويبين كيف ان القرية الفلسطينية بطبيعة وجودها ليست بعيدة عن المدينة . وبالتالي ليس التفاوت كبيرا بينهما ، خلافالما هي عليه القرى في البلاد العربية الاخرى . ولذا فان مخطط شراء الارض قبل عام (١٩٤٨) من قبل الصهاينة لم يحقق لهم الا شراء (٣٪) فقط من مجموع الارض الفلسطينية ، كما انهم امتلكوا (٤٪) من املاك الدولة التي تخلت لهم عنها سلطات الانتداب الانكليزي ، وبذلك لم يكن لهم من مجموع مساحة الارض الا (٧٪) حتى عام (١٩٤٨) ومن هنا كان تركيز الجهود ، بعد ذلك التاريخ ، على امتلاك الاراضي ، فأصدرت مجموعة قوانين تعسفية حولت الملكية من الفلسطينيين الموجودين هناك الى اليهود . وربما كان نشوء منظمة ارض من قبل الفلسطينيين المقيمين هناك شبه رد على تلك الاجراءات الظالمة ، هذه المنظمة التي انشئت عام (١٩٥٨) .

من ذلك كله يتضح لقارىء شعراء الارض المحتلة انهم فهموا ابعاد قضيتهم ، وانها لا تكاد تزيد على مشكلة امتلاك ارض واغتصاب ارض . وربما فسر لنا هذا تصرف اسرائيل حين جعلت تاريخ ميلاد مستعمرة يهودية هو بالذات تاريخ ابادة قرية عربية كما حدث في مستعمرة (كرميئيل) التي احتفل بتدشينها في ذكرى ابادة قرية (كفر قاسم) . ولذلك فقد وجدنا الشاعرين : توفيق زياد وسالم جبران يستمدان فكرة بقائهما وخلودهما في ارضهما من بقاء هذه الارض ذاتها وما عليها من زيتون وتين ... لانهما وهذه الارض شيء واحد . كما عبر محمود درويش عن توحده مع الارض احسن تعبير ، ولذا فقد

ابتعد عن القمر لانه يتحول ويغيب اما الارض فانها ثابتة لا تغيب . ولذلك فانه ملتصق بها خشية أن يسحبها احد من تحته . ويتمثل هذا الشاعر الارض اما له ، والامة اباه . ولكن هذا الاب غائب عن مجده وقومه ، وزوجه الارض وابنه الشاعر الذي رفض الخروج وراء ابيه مؤثرا البقاء الى جانب امه الارض . هذا بينما نجد سميح القاسم يبحث دوما عن ابوته القومية رغم بقائه على تلك الارض .

ولقد عرض لنا يوسف الخطيب كل ذلك توضيحا لمخطط الصهاينة الرامي الى تصفية العرب داخل الارض المحتلة ، وتبيانا لفهم الشعراء هناك حقيقة تلك المخططات .

ثم هنالك موقف آخر للشعراء العرب يتعلق بالتاريخ يمثله لنا سميح القاسم المتشبث بقومه وانسانيته ، والمتمسك ، ربما لاجل ذلك، بعمود الشعر والتراث اللغوي .

وينتقل المؤلف الى اشعار سميح القاسم وصلته بجريدة «الاتحاد» والفئة الشيوعية هناك ، وتموج مواقفه بين هدوء نسبي وهيجان شديد . ويخلص من ذلك الى شبهاتين لفكرته معضدة بالشواهد القائلة بأن الدرويش متشبث بالارض ناظور لها وان القاسم متشبث بالتاريخ ناظور له . ولا ينسى ان يشير الى موقف الدرويش من القضية الكردية ، وينكر عليه تعاطفه مع الاكراد ، واستشهاده باسم القائد الكردي صلاح الدين في مكان لا يصح ان يستشهد فيه باسمه ، لانه لم يكن قائدا يمثل اقلية كردية ، بل قائدا وحد العالم العربي في افريقيا واسيا ودفع عنه كيد الغزاة والمعتدين . وهكذا يظهر القاسم بموقفه الغامض من اكثر الامور التاريخية المتعلقة بالدين ، رغم تشبثه بالقوم والتاريخ .

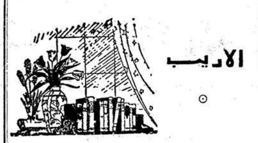
وبعد تلك الجولات بين الشعراء يصل المؤلف الى سعي اسرائيل نحو نشر الامية بين الفئة العربية وتعميم التجهيل والاكتفاء بقدر محدود من المثقفين الموجهين لفائدة مصلحة الدولة في الاذاعة والصحافة وغير ذلك . ويذكر من ثم حذفها لمادتي الديانة الاسلامية والديانة المسيحية من المدارس الثانوية وتحريمها تدريس سورة (الممتحنة) . وقد استطاع سميح القاسم ان يتنبه الى كل هذه الامور نتيجة لعمله في سلك التعليم .

ويصل بعدئذ الى عرض دقيق لوضع العامل العربي في فلسطين ، بعد ان حرم نعمة العلم ، ويعرض موقف الشاعر توفيق زياد من هذا العامل ، ثم موقف الاسرائيليين منه ، من حيث هو صوت انتخابي في البرلمانات والدعايات العالمية عن حرية الانتخاب ، وكيف ان اكثرية الاصوات تذهب بالترتيب الى : حزبي المباي والمابام ثم الى الحزب الشيوعي . ويقف بعد هذا على تشكيل (الهستدروت) وموقف هذه المنظمة من العمال العرب ، ثم موقف الحزب الشيوعي من المنظمة ، وابتعاد الاقلية العربية عن هذا الحزب من جراء موقفه غير السليم من (الهستدروت) مما ادى الى انقسام الحزب الشيوعي نفسه فيما بعد . وان هذه المفارقات نفسها هي التي تعكس موقف الشعراء والعمال العرب من هذا الحزب وقلة الاصوات التي ينالها منهم رغم ان مطبعته هي المنبر الوحيد لاولئك الشعراء ...

ثم يلتفت الكاتب الى شاعر اخر هو راشد حسين الذي لجأ الى التعامل مع مطبعة حزب المابام مبتعدا عن مطبعة الحزب الشيوعي رغم ضيق دائرة الحرية في المطبعة الاولى . ومن خلال ذلك كله يلجأ المؤلف الى تحليل مواقف الحزب الشيوعي داخل الوطن المحتل ، هذا الحزب الذي يقصر سعيه على هدف واضح وهو قلب اسرائيل من وطن اسرائيلي رأسمالي الى وطن اسرائيلي اشتراكي . وهذا ما يجعل العرب حذرين من التقرب اليه لاجئين الى صحف المابام ، ولا سيما في المواسم الانتخابية لعرض ظلاماتهم على السلطة ، وان كان هذا ليس هو الطريق السليم بالنسبة للشاعر الملتزم والاديب الطليعي .

اما الاقلام العربية التي تكتب في مطابع المباي فانها اقلام رخيصة ماجورة لا تعدو مهمتها ترجمة افكار الصهاينة من العبرية الى العربية .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. أو ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

وإذا ما اظهرت توجعا لما يقع للعرب من مظالم فان توجعها ليس الا توجع نيرون على ضحاياه .

وفي نهاية المطاف يلجأ المؤلف الى عرض سؤال هام وهو : كيف أتيحت الفرصة لنشوء هذه الحركة الشعرية داخل الوطن المحتل ؟ ويخطىء قبل كل شيء الرأي السائد بأن هنالك ثغرة في التشريع الاسرائيلي تسمح لكل مواطن باصدار نشرة واحدة في العام دون رقابة. ويعمد الى دحض هذا الرأي بالبراهين . اما نتاج الشعراء فليسوا هم الذين يصدرونه بل تصدره عنهم جهات او مطابع او دور نشر شيوعية او مابامية . ولو كان هنالك ثمة حرية نشر لما وجدنا ديوان « أغاني الدروب » لسميح القاسم وقد وضعت الرقابة الصهيونية ميسمها عليه وحذفت منه الكثير .

ثم يعمد الى الاجابة على السؤال فيرى ان العوامل المساعدة على ظهور الحركة الشعرية تتجلى في : اولا المطبعة الشيوعية رغم كل ما يمكن ان يقال عن الحزب الشيوعي ذاته . ثانيا ، شعور كامن في دم ولحم اولئك الشعراء بأنهم قادة شعبهم وانه عليهم ان يتحملوا كما تحمل الانبياء . ثالثا وقوف السلطة من تلك الحركات موقف الفطرسة واللامبالاة والاطمئنان الى ان آفاقها لن تتعدى حدود الدولة او لنقل جدران السجن الذي عاشت فيه ، وذلك بعد ان لمست ان اجهزة الاعلام العربي بقيت فترة طويلة لا تعبأ بهذه الحركة ولا بالعرب جميعا الذين يعيشون داخل الارض المحتلة ، الى ان تأسست اذاعة فلسطين من دمشق . وحينذاك بدأت السلطة الصهيونية تقدر خطر هؤلاء الشعراء وتعمد الى مقاومة اشعارهم وزجهم في سجونها وفصلهم من اعمالهم كما فعلت مع سميح القاسم حين فصلته من مهنة التعليم .

وفي نهاية المقدمة يبين المؤلف هدفه الاسمى من وراء ذلك العرض هو التعرف على الحركة الشعرية النامية داخل الوطن المحتل ، وتفهمها وقيادتها الى سواء السبيل خوفا عليها من الضلال والضياع .

ذلك هو موجز لما حاول يوسف الخطيب عرضه في مئة صفحة عمد بعدها الى ايراد اشعار هؤلاء الشعراء في (٤٦٠) صفحة فكان الديوان بمجموعه منيفا على (٥٦٠) صفحة .

والواقع ان ما قام به كاتبنا هو عمل عظيم مشكور ، وانني ما عمدت الى عرض ملخص له بغية التوصل الى النقد وذلك لان الكاتب قد اعلنها عالية من خلال مقدمته في قوله : « يا نقاد العالم ارفعوا أيديكم عن قصائدنا » فطبقت هذا المعنى في صيغة أوسع هي « يا نقاد العالم ارفعوا ايديكم عما نكتبه » لا سيما وان الكاتب بين منذ اسطره الاولى انه ليس ناقدا ولا محاولا سلوك سبل النقد المألوفة ولن يكون حياديا فيما يكتبه .

واذا فغايتي هي التعريف بالكتاب وحث الاخوة العرب في كل مكان على قراءته ، وعلى تتبع اثار واخبار اخواننا داخل الوطن المحتل . اذ ليس من الشهامة في شيء ان يسعى الصهاينة الى جمع شتاتهم المبعثر في ارجاء الارض وان نهمل نحن فئة منا ، لا نعرف شيئا عن احوالها وهي على مرمى حجر من مواقعنا . وان مهمتنا كذلك ليست معرفة احوال اولئك فحسب بل معرفة كل شيء يتعلق بهذه النكبة التي اجتاحت وطننا من اقصاه الى اقصاه حين اصابت القلب منه . وبدأ الداء يستفحل كما تستفحل الامراض في جسم الانسان المصاب بقلبه ان لم يسرع الى معالجة اساس الداء ومعرفة كل عوامله ومسبباته للقضاء عليه .

دمشق — لطفية الشهابي

●

شارع الخلا

رواية ـ تأليف فؤاد حجازي ـ ١١٨ صفحة ـ مطبعة (؟)

في هذه الرواية .. يريد الكاتب الدقهلاوي « فؤاد حجازي » ان يقول ان في داخل كل انسان شخصان . شخص له .. انانيته .. وحقده .. ومطامعه . وشخص له .. رقته .. وضعفه .. وشهامته .

فالمعلم « بدير » في عصارته مثالا للمخادعة .. والغش .. والكسب الحرام .

« تفقد المعلم بعينيه البنك فوجد ان عصير المانجو لم يصنع بعد ، امر احد العمال بالتحضير لعمل وجبة المانجو بعد قليل ، نهض عصر حبتين من المانجو واضاف اليهما ماء حتى ملأ البرطمان ، غمق لونه بقطران من صبغة لون البرتقال واضاف اليه قليل من النشا ليتثاقل قوامه ثم أذاب السكر ووضع الثلج ، ووقف يراقب البرطمان زهوا بعمله :

يا سلام ... مين يعرف يعمل الحلويات يا اولاد .. لون الكهرمان .. كدا يكون شربات المانجه ص٩ س٥ ف٢ .

وعندما يبدي عامله « فوزي » ملاحظة عابرة تتعلق بعملية العصير يقول له :

« انت هنا في نعيم .. فيه ناس ما سمعوش عن حاجة اسمها ضمير مش حتصدقني .. يحطو لبن زبادي على عصير المنجة تقوم تتخن » .

ثم مصمص شفتيه ، لغاية الان اربعة جنيه مصروف على المانجة .. يا ناس المحل بيخسر « ص ٩ س ١٦ ـ ١٨ ف ٢ .

ولكن عندما كان يغادر « بدير » عصارته ، كانت تغادره شخصيته الجشعة وتحل محلها ، شخصية ابن البلد بشهامته واصالته وطيب عنصره :

« كنت احيانا اذهب الى بيت المعلم لامر من الامور ، فاذا صادف ذلك وقت الغداء أصر الرجل على ان اتناوله معه .. ويشملني عطف معلم ابن بلد .. ويجعلني من الدهشة اتساءل .. اين تذهب شمائله الحلوة التي يبديها نحوي ونحو غيري من العمال في منزله ؟ ولماذا تغادره عندما يحضر الى المحل « ص ٣١ س ٢ ـ ٤ ف ٥ » .

والحال كذلك بالنسبة لـ « حندق » عامل البنك في عصارة « الشرفاء » التي يملكها المعلم بدير في « شارع الخلا » فاننا .. مرة نجده انسانا .. مشاكسا .. وحاقدا .. وغشاشا :

« جلس حندق يقشر المانجو ويلقي بها في حلة امامه وضع عليها السكر واخذ يدعكها ، بقشرها ونواها ولحمها حتى اخذ كل ما يمكن اخذه ، وكان لا يتحرج من القاء أي ثمرة الى الحلة .. سواء اسكنها الدود او اصابها العطب وفهمي عامل العصارة يراقبه في تقزز واخيرا قال لي والكلام لك يا جارة :

ـ بالذمة لو رمى المعطبة .. حيخس .

ـ حندق في ضيق : شوف شغلك .

فهمي بهدوء : انت دافع حاجة من جيبك ؟

حندق في صفاقته المعتادة : قلت شوف شغلك » ص ٣٤س١٠ف٦

ومرة نجده .. انسانا .. له ضعفه واحاسيسه الرقيقة كبشر :

« أنا ما اقدرش اتحمل اكتر من كده .. انا يلعن أبويا .. كان عمل فيه ايه علشان يلعنه .. ولاول مرة ألمس رنة اسى في صوت حندق وهو يقول :

ـ حرام عليه الراجل نايم مكسر .

قلت له : ما تخدش في بالك .

ـ ست شهور وهو نايم .. من يوم الفرسة ما هرست رجله .. عمل كذا عملية .. والورشة عطلانة .. أنا يا عم أرجع الورشة .. وأبعد عن سي بدير ده .

وسألته دهشا : أنتو عندكم ورشة يا حندق ؟

فقال في تيه وهو يدير عينيه في وجوه العمال : سي فوزي موش عاوز يصدقني .. عندنا ورشة عربيات كارو .. فيها عدة .. بتلتميت جنيه، برضه احنا ولاد ناس ولا ايه ياسيفهمي ص٧١و٧٢ ف٢

بهذا الحوار كله .. أكد كاتبنا الشاب بأفعال بطليه « بدير » و « حندق » بأن لكل انسان في الحياة شخصيتان . خيرة .. وشريرة

.. وليس بالخير .. او الشر .. وحده .. يحيا الانسان . فالخير .. والشر .. صفتان متلازمتان .. في الحياة .. لكل البشر .

ولكن رغم كل هذه التاكدات ، فاننا نجد السيد الكاتب يقول على لسان بطله « فوزي » عن « خليل » شقيق بدير :

عجبت لمثله كيف يحب « ص ١١٨ س ٩ ف ١٨ .

بهذا السطر اليتيم .. عاد « فؤاد حجازي » فنفى كل ما أكده في كل سطور روايته « شارع الخلا » التي تبلغ صفحاتها ١١٨ من الحجم المتوسط بأن لكل انسان في الحياة شخصيتان . خيرة .. وشريرة ..

بدير الشاش .. حندق الحقود .. فوزي اللص .. فهمي الساهي .. نجيه المشاكسة .. كل هؤلاء كان لهم في الحياة شخصيتان . خيرة وشريرة .. فلماذا .. اذا .. جعل « فؤاد » من « خليل » شقيق المعلم « بدير » شخصية شريرة .. لا يجوز لها ان تحب ، ولا ان تحيا كسائر شخصيات الرواية . ألأن خليل « أبله » والبلهاء في شريعة « كاتبنا الشاب » ليس لهم الا حياة واحدة .. حياة الشر . ولا يمكن الجمع بين الاثنين معا .. الخير والشر .. عند البلهاء . وحتى عندما أحب « خليلا » ابنة جزارة دكانها في آخر « شارع الخلا » جعله « الكاتب » يحبها من طرف واحد .. طرف .. « خليل » طبعا .. الذي كان يعاكسها قائلا :

« نفسي في حتة من الليـة .. والنبي لحمه أبيض من الفل » ص ١٠٦ ف ١٧ .

وايضا عندما تحدث عن « خليل » بافاضة فانه لم يجد الا هذه الصورة الكئيبة ليتحدث عنه بها :

« وخليل يتلاشى في حضور المعلم بدير ، لا يسمع له صوتا .. اذا امره نفذ فورا ، اذا خطاه لم يرد .. يخافه جدا لا يعمل له ألف حساب فقط بل يضطرب لمجرد ان يطلب منه اي شيء ، او حتى ينبهه الى مراعاة شيء ما ، ان مجرد تبادله الكلام مع المعلم بدير في ذاته مشقة كبيرة بالنسبة له ، ودونها طلوع الجبال . أما اذا غاب المعلم بدير ، تفتح احدى « برايز » الشارع وتختفي فيها وداعته ، ويحل محلها رجل غضنفر والجميع لا يهابونه ولا يعملون له ادنى حساب ، فهو في نظرهم ابله ولا يخشون ان يدس لهم عند اخيه ، فهو اقل من ذلك ،الا ان بلاهته تسبب ضيقا للعمال ، فلسانه السليط لا يكف عن ايلامهم ، وعندما يكون اللسان سليطا ومن آباه ولا توجد معاملة بالمثل فهو مهما كان وضعه اخ للمعلم فان الالم يصبح عظيما ص ١٠٦ س ١٧.٧ ف ١٧ .

وهكذا وقف « فؤاد حجازي بكتابته لهذا السطر اليتيم الذي وضعه في ختام روايته حائرا لم يستطع ان يحدد معالم طريقه جيدا .. ولا ان يوضح الفكرة التي اراد ان يقولها في « شارع الخلا » . هل الانسان في الحياة .. خير وشر معا .. او .. لا بد .. ان يكون لكل من الشر والخير .. شخصية .. مستقلة . ليحيا الانسان .

لم يستطع « فؤاد » ان يقول لنا هذه الكلمة بوضوح ..

طلخا - ج٠ع٠م٠ — ابراهيم البوهي

•

السماء ايضا تبكي

مجموعة قصص اجتماعية - تاليف السيدة حنيفة فتحي - (؟) صفحة - مطبعة (؟)

اذا كان الشعر اداة تعبير عن المشاعر الانسانية في الحياة فان القصة تعتبر كل الحياة لانها تحمل في مضمونها احاسيس الافراد بشكل مملوء بالمعاناة الروحية التي تشعر الانسان بأن القصة جزء من حياته .. تصور احساسه .. تنقل افكاره .. تعرض ما في نفسه من اسباب الضيق .. وقد اعتبرت القصة من ابدع الفنون الادبية وادقها احساسا واجملها روحا .. وبالاضافة لكونها مرآة تعكس الواقع الاجتماعي في خيره وشره . ولذا فقد حظيت القصة باهتمام العالم الادبي في شرقه وغربه وكتبت فيها دراسات تبث وجودها كفن يفوق كل الفنون ذوقا وجمالا . والكاتب القصصي عندما يريد ان يصوغ من افكاره او واقعه قصة لا ينسى اسس الفن فيها كالشخصيات ، والحوار ، وطريقة العرض . والبيئة التي تصور احداث القصة والحبكة الفنية فيها . وايضا جمال الاسلوب الذي يجمع كل العناصر المذكورة لكتابتها . ومما لا شك فيه ان للقصة القصيرة في الشرق كتابا تفوقوا في خلقها وجعلوا لها مكانة كبيرة في العالم الادبي . باعتبارها صورة مصغرة من حياة الشعوب .

فاذا كان هذا اول اعتبار للقصة فما هي تلك الصورة التي نحكم بها على الاديبة السيدة « حنيفة فتحي » من خلال مجموعتها القصصية الاخيرة « السماء ايضا تبكي » ومن المعروف ان الكاتبة تحمل في مطاوي نفسها موهبة فنية لا ينكرها عليها احد في مجالنا الفكري . وهي في هذه المجموعة تحمل لنا اكثر مزايا القوة للادبية الاصيلة ، فهي تبرز لنا الصور المتواضعة قوية المضمون . متماسكة الاسلوب تعتمد على عنصر التشويق في اكثر القصص .. فيها رشاقة الكلمة التي لا تفضل مكانها وفيها اصالة التحليل للشخصيات الانسانية ممثلة كلها في الحوادث الخارجية . ولقد حرصت المؤلفة ان تعطي اكثر قصصها القيمة الفنية الجيدة .. وهذه ميزة حميدة يتحلى بها القاص الناجح وحنيفة في مجموعتها القصصية ادت مهمة الكاتبة في خدمة مجتمعها . فاخذت من كل طبقاته (عينات) مختلفة لظروف مختلفة . وعالجتها باسلوب جميل حتى يحس القارىء انه يقرأ نفسه في كل اطوارها . والمجموعة تحتوي على ست عشرة قصة مضافا اليها قصيدة حانية لدموع طفلة بائسة . والقصص كلها تتناول قضايانا .. قضايا الانسان المعاصر في مجتمع مشعب التقاليد ، تخالطه مدنية افسدت اكثر روحانياته الجميلة .. والانسان في قصص حنيفة يعيش في صور كثيرة ويتقن دوره كممثل انساني فوق بسيطة الارض وهو في كل اطواره انسان فاضل رغم مغريات الزمن . ودعابات الاقدار لروحه الطيبة تارة ... المتمردة اخرى .. والكاتبة تحسن طريقة العرض بحيث تستطيع ان تسيطر على قارئها .. وهذه ايضا ميزة تضيفها الى مزايا القصاص الناجح .

ان اول ما يصادفك في تلك المجموعة قصة « لماذا » التي ارادت المؤلفة ان تترك جواب السؤال فيها الى المستعمرين انفسهم .. هؤلاء الذين يغدون على الوطن كداء اثيم .. ويحاولون سلب المواطنين الامنين حرية النفس .. وسيادة الوطن .. ان هؤلاء الغاصبين الذين يتارجحون على اعمدة الذل لا يجدون في وطننا الكبير الا نهايتهم المحتومة على ايدي ابطالنا الاحرار فالحرية عندنا لا يعادلها الا حرية الروح والحياة .. ان شخصية الشيخ الوقور في هذه القصة صورة مشرفة من صور نضالنا القومي .. انه بذرة ترعرعت في احضان الخير والحرية والفداء .. ولقد اجادت المؤلفة رسم شخصية الشيخ . وحركته بريشة الفنان الذي يرسم الحقيقة بدون طلاء ولا الوان .. فتبدو الصورة طبيعية معبرة هادفة .. وقصة « لماذا » واقعية نقلت من واقعنا الاجتماعي بكل صدق وامانة .

وهناك قصة وطنية اخرى هي (الجبان) فهي ايضا من صور نضالنا القومي .. تدور احداثها في ظروف معينة تعتبر لمحة مجيدة من تاريخنا السياسي هي حرب بورسعيد .. والجبان في القصة هو عنصرها الاساسي الذي تتوقف عليه قوة القصة او فشلها . لان الجبان

كان يعيش ضمن اسرة كلها بطولة وثورة الا هو فقد كان يخشى الحرب ولا يحب صوت الرصاص .. ولا رؤية دخان المدافع .. كان يحيا بشكل سلبي مشوه دابه الوحيد ان يضعف من همة الاخرين الوطنية مدعيـا بذلك حبه للسلام والخير وان (لا تؤخذ الدنيا غلابا) والمؤلفة في هذه الشخصية اهتمت الى حد ما باظهار الضعف النفسي عند بعض الرجال وصورته بدقة وجمال واضفت بعض المعالم الفنية على التحليل حتى ليمكن القول ان بكل كلمة في القصة واقعية ملموسة وظاهرة . ثم ان « التنقلات » الفنية وتجاوب الجبان المستمر مع مخاوفه وانطوائه بعيدا عن معركة الحياة فيها اصالة الكاتب المتمكن من مقدرته وفنه . والجبان ظل جبانا الى ان استشهد اخوه في المعركة . وجثت امه جثمانه ترثيه .. في هذه اللحظات انقلب الجبان الى اسد . وتابط السلاح واتجه الى المعركة يعيد مجد اخيه ورفاقه الشهداء ولم يدر بخلده لحظة انه كان يوما جبانا .. بل على العكس كان يتحسس قوة خفية تدب في فرائصه . ويدفع بالرصاص دفعا دون هوادة . وكانه كان ينتقم من جبنه الذي كان وصمة عار في جبينه . وادرك لتوه ان الرجال لا يقاسون فيحياتهم الا بالقوة والفداء .. وانالوطن لا يبنى الا على سواعدالشباب الرجال منهم والفتيات حتى امه العجوز كانت بطلة ... واخته ايضا بطلة ... اذن لماذا لا يكون هو بطل يحمل شرف الكفاح عن وطنه .. عن كل شبر في ارض امته .. وظل يطلق الرصاص هنا وهناك بشكل جنوني لا يدل الا على حب المواطن لوطنه .. ان هذه القصة تعتبر من افضل قصص المجموعة فيها ترابط فني جميل .. والعرض فيها متماسك لدرجة بدت القصة كاملة العناصر للقصة الناجحة .

اما بقية القصص فانها اجتماعية بحتة .. تعالج بعض العيوب في المجتمع الشرقي . وقد عالجت المواضيع باسلوب لطيف لا يبعث الملل .. ففي قصة « تمثال من الطين » نجد اكثر من فكرة تكاد ان تكون موضوعا منفصلا فهي ذات لون جديد في ادبنا القصصي . تمتاز بالاداء والعرض الجميلين . ولقد تمكنت المؤلفة ان تترجم لنا الحب (على لسان بطلتها) بشكل تمثال موجز لكل معاني الحب الكبير في جوانح قلبها الصغير . فتابت التماثيل عن لسانها في هذا التعبير .. فهي خرساء تكن لسيدها النبيل الولاء والشكر والحب .. ولكم صنعت له من تماثيل الحب ليدرك ويفهم ما وراء طفولتها من احاسيس وليشعر (على الاقل) انها ترد له الجميل يوم ردها من التشرد وملا معدتهـا الخاوية باجود اصناف الاطعمة .. ولكن السيد ظل يعيش فيما يشبه الغباء ولم يفطن الى ذلك الحب الا عندما اخذها (السيد) الى صدره .. عندئذ فقط احس ان وراء هذا الصمت عيونا تتكلم ، واحاسيس تمور .. واصداء دفء لذيذ يموج في جسد يزحف الى النمو والشباب وادرك لتوه انه هو قد صنع منها تمثالا واحدا يتحرك .. ولكنها هي صنعت له عدة تماثيل تمتاز بالشكل والرمز .

هذه القصة ظلت قوية البناء الى ان حدثت المفاجاة ، اذ اراد (السيد) ان يتزوج يوما واعلن تباشير الفرح .. واحست الطفلة ان وجودها في ذلك البيت سيكون مدعاة شقاء لسيدها . فارادت ان تودع البيت بنفس الهدوء الذي ولجت به اليه .. تاركة وراء ظلها اشـياء حلوة تسمو بها النفس الكبيرة .. تركت له التمثال كنوع من ذكرى حبيبة .. ثم ولت وفي نفسها بقايا حنان ابوي له تره طوال حياتها .. هذه القصة مثيرة في احداثها . وتكاد تكون اقوى القصص ..

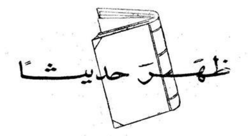
واما قصة « السماء ايضا تبكي » التي اختارت المؤلفة اسـمها عنوانا لكتابها . فهي لا تقل عن سواها من حيث الاسلوب والاداء .. ولكنها ليست جديدة الفكرة .. ومضمونها يتلخص ان فتاة شابة تنسج من وجودها قصصا .. وتكتب ادبا تفند به ماهية الدنيا والوجود .. وفجاة تقع تلك (الانسانة) في حب فنان كبير السن عاش من العمر عتيا وهو يرسم بالوانه ماهية الدنيا والحياة والوجود ايضا .. هي تكتب .. وهو يرسم .. وهو يحبها كابنته (ان صح قوله) وهي تحبه كرمز للفنان العظيم الذي تبارك السماء فنه فتمطر يوم وفاته . اعترافا بعبقريته .. والقصة في مجموع احداثها لا تزيد على الملخص بشـيء اللهم الا العرض السليم لخطرات المؤلفة الفكرية وهي (على العموم) شفافة بديعة للقصة الذاتية ..

اما قصة « المراكبي لوز » فانها تعتمد على عنصر الاعتماد علـى النفس هذا المراكبي المكافح التي تنطق ملامحه السمراء بكل معالم القوة والصبر الذي امضى معظم عمره يداعب الامواج بمركبه ويغني لها اغانيه يعيش بذراع واحدة .. ولقد بترت ذراعه الاخرى منذ الحرب العالمية الثانية واثناء غاراتالانجليز والالمان . وفقده لذراعه لم تبعـده عـن المعركة .. معركة الحياة فاندفع يعمل في اصعب مرفق من مرافقها . ولم تهزمه العاهة عن النضال في سبيل لقمة العيش (الحلال) هـذا الرجل ليفخر الوطن بامثاله لانه يابى ان يكون سلبيا .. وان يكون عالة على الاخرين الذين يجدون عليه ببقايا خيرات النفس .. ان القصـة تعرض بكل صدق حياة هذا المكافح وهي تشعرك ان لا مكان للسلبية في حياتنا الجديدة وفي مجتمعنا البناء .

اخيرا هانذا عرضت بعض القصص كدلالة على قيمة الكتاب الادبية تاركة البعض الاخر لحكم القارىء ، وقد يجد غير ما وجدت . ولكني لا اشـك بانه (يشاطرني) الراي من حيث جودة الاسلوب .. وجمـال الافكار . وقوة العرض . وقد لا ينكر معي ان كاتبتنا الادبية حنيفـة فتحي خاضت ميدان الفكر بكل ثبات وهي كسب كبير للادب عامـة والقصص خاصة وقد يظن (البعض) انني تناولت ادب حنيفة من زوايا الاعجاب والتقريظ تاركة ثغرات النقد والتشريح . وليعذرني (البعض) اذا لم اجد في هذه القصص الا صورا من حياتنا عولجـت بعضهـا باسلوب تفوق على نفسه قوة وبعضها الاخر باقل مسـتوى كقصص « الست كريمة » .. « احبك ولكن » .. « شيء يموت » ، « فـوق خشبة المسرح » .. « والضحية » . وان كانت الاخيرة تدور كحوار بين ام وولدها حول العرف والتقاليد والحب الاعمى فهي على كل حال تبدو قصة امومة للارشاد فقط .

هذا بالاضافة الى ما نلاحظه على ادب المؤلفة . انهـا فـي اكثر القصص تركت الابطال بدون اسماء ورمزت اليهم مرة بالسيد .. واخرى بالرجل . او بالانسان . كما ان اكثر القصص تخلو من تبادل الحـوار بين الابطال .. وظلت المؤلفة . (عارضة) للاحداث فوق الورق .. حتى ان بعض القصص اصابها ما يشبه الوهن . والحوار عادة من اهـم الاسباب الذي يجعل القصة قطعة من الواقع . يحس القارىء انها قصته تتحرك امام عينيه بكل تفاعلها الانساني الكبير وعلى العموم « السماء ايضا تبكي » مجموعة قصصية تكاملت فيها اكثر الصور الحلـوة لادب القصـــة .

القاهرة — منور فوال



● ابن رشد والغزالي ، التهافتان : دراسة ومختارات ــ تاليف يوحنا قمير ــ ٨٦ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات دار المشرق ببيروت ــ المطبعة الكاثوليكية بيروت .

● ثأر او عار ــ تاليف اميل الفوري ــ ٩٨ صفحة ــ طبع في بيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● وجهان عاريان ــ رواية ــ تاليف باسم سرحان ــ ٢٢٤ صفحة ــ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة)

● في الحضارة العربية : صور عباسية ــ تاليف الدكتور ناصر الحاني ــ الغلاف تصميم امل بورتر ــ ١٥٦ صفحة ــ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ذكريات نائب ــ تاليف محمد برجاوي ــ ٥٦ صفحة ــ منشورات عويدات بيروت ــ مطابع منشورات عويدات بيروت .

● الاجماع في التشريع الاسلامي : دراسة موضوعية لركن الثالث من ادلة الاجتهاد مقارنة باراء المذاهب الاسلامية كافة ــ تاليف محمد صادق الصدر رئيس التمييز الشرعي الجعفري سابقا ــ ١٤٤ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات عويدات ببيروت ــ مطابع منشورات عويدات ببيروت

● الله .. والحب اليابس ــ مجموعة شعرية ــ انصاف الاعور معضاد ــ ١١٠ صفحة ــ منشورات عويدات ببيروت ــ مطابع منشورات عويدات بيــروت .

● بعض امراض الدولة في لبنان وطرق علاجها ــ تاليف عبده عويدات ــ ١٣٦ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات عويدات ببيروت ــ مطابــع منشورات عويدات بيروت .

● الكعديات ــ ديوان شعر ــ للشاعر المهجري جورج كعدي ــ تقديم كعدي كعدي ــ الجزء الاول ــ ٣٠٨ صفحة ــ حجم كبير ــ مطبعــة فاندوم بيروت .

● اعلام من لبنان والمشرق ــ تاليف جورج غريب استاذ الادب العربي في المعهد الانطوني ــ ٢٠٠ صفحة ــ الكتاب ١٢ في سلسلة « الموسوع في الادب العربي » ــ منشورات دار الثقافة ببيروت ــ مطبعة الغريب بيــروت .

● قبل على شفاه ــ مجموعة شعرية ــ جورج غريب ــ تقديم انطون قــازان ــ مصمم الغلاف رضوان الشهال ــ العناوين للخطاط محمود شعبان ــ ٢٤٨ صفحة ــ منشورات دار الثقافــة ببيروت ــ مطبعــة الغريب بيــروت .

● من هو الانسان ؟ ــ تاليف صموئيل عبد الشهير ــ ١٠٠ صفحة ــ منشورات رابطة المطبوعات المسيحية العربية ببيروت ــ (لــم يذكــر اســم المطبعــة) .

● عطر وحبر ــ دراسات وابحاث ــ تاليف عبدالحميد العلوجي ــ ٣٩٤ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ــ مطابع دار الجمهوريــة ببغداد .

● الدعاية العربية امام التحديات الصهيونية ــ تاليف الدكتور فاضل زكي محمد ــ ٨٤ صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ــ مطابــع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● الدبلوماسية في النظرية والتطبيق ــ تاليف الدكتور فاضل زكي محمد ــ طبعة ثانية موسعة ومنقحة ــ ٢٩٨ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ــ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● عندما تكون الحياة رخيصة ــ مجموعة قصص ــ تاليف ادمون صبري ــ ٩٢ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ــ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● خارج من الجحيم وتمثيليات اخرى ــ تاليف صادق راجي ــ ١٢٨ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات وزارة الثقافة والاعــلام ــ مطابــع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● الدين والحياة ــ تاليف الشيخ محمود البرشومي ــ ٢٩٦ صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● مقال في الشعر العراقي الحديث ــ تاليف عبد الجبار داود البصري ــ ١٤٤ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات وزارة الثقافةوالارشاد ــ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● رسالة الطيف ــ تاليف بهاء الدين علي ابو الحسن الاربلي ــ تحقيق عبد الله الجبوري ــ ٢٢٤ صفحة ــ حجم كبير ــ منشــورات وزارة الثقافة والاعلام ــ مطابــع المؤسسة العامة للصحافة والطباعــة دار الجمهورية ببغداد .

● ابعاد الصراع العربي الاسرائيلي ــ تاليف جميل كاظم المناف ــ ٢١٢ صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ــ مطابع المؤسسة العامــة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● كتاب خصائص العشرة الكرام البررة (رضي الله عنهم) ــ تاليف جارالله ابي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمــر الخوارزمــي الزمخشري ــ حققه وعلقت حواشيه وقدمت له الدكتورة بهجة باقر الحسني ــ ١٩٠ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ــ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● ديوان ليلى الاخيلية ــ عني بجمعه وتحقيقه خليل ابراهيم العطية وجليل العطية ــ ٢٢٠ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ــ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● في زنزانات اسرائيل : مذكرات النقيب التركي شهاب طــان ــ ترجمة ابراهيم الداقوقي ــ ١١٢ صفحة ــ حجم كبير ــ منشــورات وزارة الثقافة والاعلام ــ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● الرحيل ــ مجموعة قصص ــ تاليف خضر عبد الامير ــ ٧٢ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ــ مطابع المؤسســة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● الهارب ــ قصةطويلة ــ تاليف شاكر جابر ــ ٩٦صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ــ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● غفران ــ مجموعة شعرية ــ محمد جميل شلش ــ تقديم عبدالجبار داود البصري ــ ١٦٢ صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ــ مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● بطلان الاسس التي اقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية وسلامة الموقف العربي من القضية الفلسطينية ــ تاليف حسين جميل المحامي ــ الطبعة الثانية ــ ١٦٢ صفحة ــ منشورات وزارة الارشاد والاعلام ــ مطابع المؤسسةالعامة للصحافةوالطباعة دار الجمهورية ببغداد

● ديوان العباس بن مرداس السلمي ــ جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري ــ ٢١٠ صفحة ــ حجم كبير ــ منشــورات وزارة الثقافــة والاعلام ــ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهوريــة ببــغــداد .

● من مناهل الحياة ــ مجموعة قصص ــ تاليف الياس قنصل ــ ١٠٤ صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد ــ مطابع دار الجمهوريــة ببــغــداد .